المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج



الأدب العربي وتاريخه

العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي

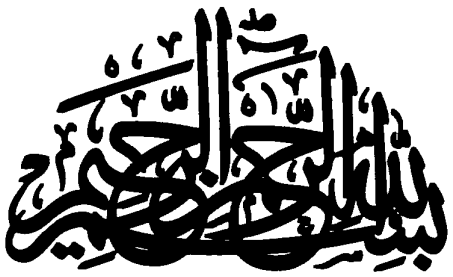
للسنة الأولى الثانوية

طبعة ١٤٢٦هـ

يوزع مجاناً

ⓒ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦ هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.
الأدب العربي وتاريخه للسنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية./ الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.. الرياض، ١٤٢٦هـ.
١٦٢ص ٥, ٢١ × ٢٧ سم .
ردمك : ٣ ـ ٥٣٢ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠
١- الأدب العربي - تاريخ - كتب دراسية. أ ـ العنوان .
ديوي ٨١٠,٩٠٠٧١٢ ١٤٢٦/ ٥٣٣

رقم الإيداع : ١٤٢٦/ ٥٣٣
ردمك : ٣ ـ ٥٣٢ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠



مقـدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله أما بعد :

فإن الأدب العربي ـ شعره ونثره ـ من الفنون التي يجمل بطالب العلم الإلمام بها، والتزود بقدر مناسب منها؛ وذلك لما للأدب من أثر بالغ على ثقافة المتعلم وأسلوبه في نقل ما يحمله من فكر وعلم مقروء أو مسموع.

وأدب كل أمة يعبر عن حضارتها وثقافتها وقضاياها ويصور حياتها بما فيها من أفراح وأتراح، وآلام وآمال.

ونحن نقدم هنا هذا الكتاب لطلاب السنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية. نعرض فيه بعضاً من الصور الأدبية الراقية الجميلة، مما أنتجته الثقافة العربية قبل الإسلام وبعده؛ لنرى مدى التحول والرقي في الأدب بعد مبعث النبي ﷺ ورسالته الخالدة، ومدى الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم والحديث الشريف في الأدب.

ومما تهدف إليه دراسة الأدب العربي وتاريخه في هذه المرحلة ما يلي :

١ – إطلاع الطلاب على عيون الأدب العربي، وغرره ومحاسنة وأشهر أعلامه.

٢ – تعرفهم على تراث أمتهم الإسلامية وكنوز ثقافتهم وما لأمتهم من علم ومعرفة وحضارة.

٣ – وضع مقدار مناسب من النصوص البليغة بين أيدي الطلاب ليتذوقوا الأدب ويتمرسوا بأساليه، ويتمرنوا على الإجازة في نواحي القول وشعب البيان.

٤ – الاهتمام بدراسة أثر القران الكريم والحديث الشريف في اللغة والأدب مع بيان نواحي الإعجاز فيهما، وكذا خطب النبي ﷺ وأصحاب رضوان الله عليهم.

٥ – تحبيب اللغة الفصحى إلى الطالب بما فيها من شعر ونثر لكي يدرك جمالها ويعتز بها ويدافع عنها.

٦ – تنمية ملكة التذوق الأدبي للنصوص الأدبية.

٧ – توظيف الأدب ليكون أدب نفس فيحقق الانتماء الإسلامي الأصيل، ويساهم في التربية

النفسية والاجتماعية، وتهذيب الأخلاق، وتزكية النوازع الخيرة من خلال النصوص الأدبية الجيدة.

ولتنفيذ الأهداف السابقة بالصورة المطلوبة يحسن بالمدرس مراعاة ما يلي:

١ – العناية بالنقد الأدبي لكل نص يدرس، ولكل موقف أدبي وذلك باستخدام المقاييس النقدية والبلاغية التي درسها الطالب في منهج البلاغة؛ للاستفادة من تلك القواعد والمصطلحات وترسيخها في الذهن عن طريق النصوص.

٢ – النقد الخلقي والتربوي للنصوص والمواقف الأدبية عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

٣ – إشراك الطلاب في الشرح والاستنباط، والتقليل من طريقة الإلقاء والسردللمعلومات.

٤ – العناية بالشرح اللغوي للكلمات، وبيان ما غمض من المعاني.

وأخيراً فإن الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج تسعد بتلقي ملحوظات الإخوة المدرسين واقتراحاتهم حول هذا الكتاب وغيره؛ وذلك سعياً للارتقاء بمناهج المعاهد العلمية وكتبها لتحقق رسالتها السامية بإذن الله.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

الفصل الدراسي الأول

توزيع المنهج للفصل الدراسي الأول

الأسبوع وتاريخه	الموضوعات	ملحوظات
الأول من / / ١٤٢هـ	توجيهات عامة وخاصة بالمادة، وتعريف الأدب.	واجب منزلي
الثاني من / / ١٤٢هـ	أقسام الأدب (الشعر وأنواعه، النثر وأنواعه). قراءة قصيدة حاتم الطائي في الكرم وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثالث من / / ١٤٢هـ	الغرض من دراسة الأدب، العصور الأدبية. قراءة خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ وتوضيحها . (حفظ الخطبة)	
الرابع من / / ١٤٢هـ	العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية). قراءة قصيدة المثقب العبدي (لا تقولن) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الخامس من / / ١٤٢هـ	أيام العرب (يوم ذي قار، يوم خزازى). قراءة أبيات الأعشى في يوم ذي قار وتوضيحها. (حفظ الأبيات).	واجب منزلي
السادس من / / ١٤٢هـ	الشعر الجاهلي (نشأته وروايته، أغراضه).	
السابع من / / ١٤٢هـ	خصائص الشعر الجاهلي، المعلقات.	
الثامن من / / ١٤٢هـ	اختبار منتصف الفصل الدراسي الأول.	واجب منزلي
التاسع من / / ١٤٢هـ	امرؤ القيس (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة امرئ القيس (وليل كموج البحر) وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها)	
العاشر من / / ١٤٢هـ	النابغة الذبياني (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة النابغة (كليني لهم) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الحادي عشر من / / ١٤٢هـ	زهير بن أبي سلمى (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة زهير (سئمت تكاليف الحياة) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثاني عشر من / / ١٤٢هـ	النثر الجاهلي (الخطابة). قراءة خطبة أكثم بن صيفي أمام كسرى وتوضيحها. (حفظ خمسة أسطر منها)	واجب منزلي
الثالث عشر من / / ١٤٢هـ	الأمثال. (حفظ سبعة أمثال).	
الرابع عشر من / / ١٤٢هـ	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر.	
الخامس عشر من / / ١٤٢هـ	مراجعة عامة.	

تعريف الأدب

تعارف كثير من الأدباء والنقاد على تعريف للأدب هو كما يلي:

(مأثور الشعر الجميل، والنثر البليغ، المؤثر في النفس، المثير للعواطف).

فالتأثير شرط في الأدب، أما الشعر والنثر اللذان لايثيران العواطف كالمنظومات التي تسهل حفظ العلوم، والكتب التي ألفت في العلوم المختلفة، فهذه لاتسمى أدبا.

وقد استقر هذا المدلول لكلمة «أدب» طوال العصور التي تلت العصر العباسي إلى يومنا هذا.

ولكننا إذا أردنا أن نعرف الأدب من خلال النظرة الإسلامية فإننا نقول:

الأدب كل شعر أو نثر يؤثر في النفس ويهذب الخلق ويدعو إلى الفضيلة ويبعد عن الرذيلة بأسلوب جميل.

أقسام الأدب

ينقسم الأدب إلى فنين كبيرين هما :

(أ) فن الشعر (ب) فن النثر

(أ) الشعر

يعد الشعر الفن الأكبر من فنون الأدب، والأكثر رواجاً وإمتاعاً للنفس، وشهرته وتأثيره في النفوس على مرّ العصور أوضح وأبين من غيره؛ ولذلك فعندما يذكر الأدب فإن الشعر أول مايتبادر إلى الذهن لقوة دلالته عليه.

والشعر ثلاثة أنواع هي :

١ - الشعر القصصي :

الشعر القصصي أو الملحمي : قصائد طويلة تحكي قصص أبطال عملوا أعمالاً عظيمة وجبارة، أو أعمالاً خارقة للعادة.

وقد عُرفت الملاحم في أول أمرها عند اليونان، وأشهر ملاحمهم : ملحمة «الإلياذة»، وملحمة «الأوديسا» وقد صنعهما شاعر اسمه هوميروس[١]، ويوجد الشعر الملحمي في معظم الآداب العالمية بمافيها الأدب العربي إلا أنه لا توجد فيه الملحمة بمعناها الأسطوري الخرافي الوثني حيث تتعدد الآلهة كما في «الإلياذة والأوديسا». وإنما وجدت القصائد التي تصور المعارك والبطولات فيما عرف بشعر الحماسة، من العصر الجاهلي إلى شعر الفتوحات إلى معارك المسلمين مع الروم وإلى عصرنا الحاضر.

---

(١) شاعر يوناني عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

٢- الشعر التمثيلي :

شعر يصنع للتمثيل على المسرح. فهو يختلف عن الشعر القصصي الطويل، فالقصيدة في الشعر المسرحي محدودة الطول؛ لأنه سيمثلها أشخاص وينظر إليها الجمهور في وقت محدود.

وهذا النوع من الشعر أول ما عرف عند اليونان، ثم عرفه الرومان، أما العرب فلم يعرفوه إلا في العصر الحديث عندما ألف أحمد شوقي[1] (مصرع كليوباترة) و(مجنون ليلى).

٣- الشعر الغنائي أو الوجداني :

الشعر الغنائي: هو الذي يتحدث فيه الشاعر عما يحس به من خواطر، وينقل ما يجيش في نفسه من مشاعر.

ويصاغ في قصيدة متوسطة الطول، وهو صالح للغناء في معظمه، وأكثر الشعر العربي من الشعر الغنائي وهو يشتمل على أغراض كثيرة منها: الحماسة، المدح، الرثاء، الهجاء، الوصف، الغزل.

---

(١) شاعر عربي مصري لقب بأمير الشعراء. توفي سنة (١٣٥١هـ- ١٩٣٢م)

(ب) النثـر

عندما ذكرنا بأن الشعر هو أكبر قسمي الأدب وأشهرهما فلا يعني ذلك التقليل من شأن النثر، بل إنه في بعض الأحيان أقوى تأثيراً؛ وذلك عندما تكون الحاجة إليه أمسّ من الحاجة إلى الشعر.

ويشتمل النثر على أنواع كثيرة منها: الخطب والرسائل والأمثال والحكم والوصايا والمقامات والقصص، والمسرحيات.

أنواع النثر

١ - الخطابة:

الخطابة نوع من النثر الفني الذي يؤثر في النفس ويثير العواطف عن طريق طرح الأفكار المقنعة المقرونة بالحجج والبراهين، ويكون ذلك بأسلوب مؤثر في المستمع بحسب ما يقتضيه المقام.

٢ - الرسائل:

برزت الرسائل الفنية في آخر العصر الأموي. أما قبل ذلك فالرسالة امتداد للكلام الاعتيادي؛ فهي خالية من التكلف، سهلة العبارة، خالية من عبارات التفخيم، تنصب على الغرض الذي أُنشئت من أجله، أما الرسالة الفنية فهي التي يعتني كاتبها باختيار ألفاظها ومعانيها والأساليب البلاغية المناسبة لها.

٣ -الأمثال :

الأمثال أقوال يتناقلها الناس، وهي سائرة بينهم، ويقصد بها تشبيه حال من قيلت فيه بحال من أُنْشيء المثل من أجله.

والفن يبرز في الأمثال؛ لأنها خفيفة الظل تمزج الهزل بالجد وتشير إلى ماتريد بطرف خفي؛ فتعالج كثيراً من الأمور بكلام مختصر يصل إلى أعماق النفس، والمثل يوجد في الشعر ولكن وجوده في النثر أكثر من وجوده في الشعر.

٤ الحكم :

الحكم أقوال مأثورة موجزة مؤثرة، تشتمل على رأي سديد أوحكم صائب، أوتجربة إنسانية، وتصدر الحكم عن أصحاب الرأي السديد الذين جربوا الحياة وخبروها.

٥ الوصية :

الوصية قول يراد به الترغيب في الخير والابتعاد عن الشر، ويسعى قائل الوصية إلى تجويدها لتؤثر في من ينتفع بها، وهي تقال غالباً في مواقف الفراق؛ كالإحساس بقرب الموت حيث يوصي الأب أبناءه، أومفارقة قريب من أجل سفر أوغيره.

٦ المقامة :

المقامة قصة قصيرة تمثل أحداثاً وقعت لشخص أو أشخاص، وتُؤدَّى المقامة بأسلوب أنيق يغلب عليه السجع القصير، وتشتمل المقامة على طُرفة تريح النفوس أو موعظة ترقق القلوب، وتتخللهاالنوادر والفكاهات والمواقف المضحكة، وتهدف إلى نقد الأشخاص أو المجتمع. وقد ظهرت المقامات في العصر العباسي ولم تعرف قبل ذلك، وأشهر كتاب المقامة بديع الزمان الهمذاني[١] والحريري[٢].

٧ - القصة :

القصة أحداث مثيرة تصور نمطاً من الحياة أو أحداثاً معينة يشترك فيها الخيال. وتصاغ بأسلوب مشوق يستهوي القارىء والمستمع، بحيث يبرز فيه سرد الأحداث المثيرة وتتشابك فيه الأزمات وتتسلسل فيه الأفكار، وكلما كانت حبكة القصة قوية ومتماسكة كان تأثيرها في القارىء والمستمع أعمق وأظهر.

والقصة إذاكانت طويلة تسمى رواية، وإذا كانت قصيرة تسمى قصة قصيرة، وإذا كانت قصيرة جداً سميت أُقصوصة.

---

(١) هو أحمد بن الحسين ولد بهمذان وتنقل بين مدن بلاد فارس ثم أقام بهراة وبها توفي سنة ٣٩٨ هـ.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن علي البصري ولد سنة ٤٤٦ هـ وتوفي في البصرة سنة ٥١٦ هـ

٨ - المسرحية :

المسرحية فن أدبي يعرض حادثة أومجموعة حوادث بواسطة ممثلين يقومون بأدوارهم على خشبة المسرح أويتخذون الحوار أساساً لعملهم، وهم يحاكون بعملهم هذا الحياة الحقيقية في بعض صورها.

والمسرحية إما أن تحكي حادثة مفجعة مؤلمة فتسمى (مأساة) أو تحكي حادثة مضحكة فتسمى (ملهاة).

الغرض من دراسة الأدب

١- تهذيب الأخلاق وترقيق العواطف.

٢- الاتصال بالثقافة العامة بجميع أنواعها بمافيها الثقافة الأدبية، والوقوف على القضايا الاجتماعية والفكرية للمجتمع، ثم الإسهام في معالجتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

٣- نقل التجارب الإنسانية إلى الآخرين، واكتساب الخبرات والمعارف عن طريق قراءة كتب الأدب بقسميها: الشعر والنثر.

٤- التعليم عن طريق المتعة كما في الروايات والمسرحيات.

٥- معرفة النفس الإنسانية ودواخلها وكوامنها من خلال الأدب الذي تنفثه على لسان صاحبها، شعراً كان أو نثراً.

٦- الدعوة إلى الله:

اعتمدت الدعوة الإسلامية في أول أمرها على الخطابة، فعندما نزلت الآية الآمرة بالجهر بالدعوة جمع النبي ﷺ قريشاً وخطب فيهم، ثم توالت خطبه ﷺ، وكانت الخطابة على امتداد التاريخ الإسلامي عماد الدعوة إلى الله، والشعر كان له دور في الدعوة إلى الله في زمن النبي ﷺ؛ فحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك دعوا إلى الإسلام قبل فتح مكة وردوا على المشركين.

والأديب اللبيب هو الذي يعرف كيف يدعو إلى الله وكيف يصل إلى أعماق النفس الإنسانية، وبذلك يكون أقدر من غيره عندما يدعو إلى الإسلام.

٧- الترويح عن النفس.

العصور الأدبية

ينقسم تاريخ الأ دب العربي إلى عصور هي :

١- **العصر الجاهلي**: يبتدىء هذا العصر مع أول شعر وصلتنا روايته ويقدر ذلك بـ٢٠٠سنة قبل الإسلام وينتهي بظهور الإسلام، وتأثيره في الأدب.

٢- **العصر الإسلامي**: بداية هذا العصر هي ظهور الإسلام وتأثيره في الأدب، ونهايته هي نهاية حكم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

٣- **العصر الأموي**: يبدأ سنة ٤١ هـ عندما انتقلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، وينتهي سنة ١٣٢هـ عندما سقطت الدولة الأموية.

٤- **العصر العباسي**: يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ. وينتهي بسقوطها سنة ٦٥٦هـ.

٥- **عصر الدول المتتابعة**: يبدأ هذا العصر باستيلاء التتار[١] على بغداد سنة ٦٥٦هـ، وينتهي بتأثير الحضارة الأوبية في الأدب العربي وذلك في بداية القرن الثالث عشر الهجري.

ويشمل هذا العصر حكم التتار لشرقي البلاد الإسلامية وحكم المماليك لمصر، وحكم الأتراك العثمانيين للبلاد الإسلامية.

٦- **العصر الحديث**: يبتدىء هذا العصر بقيام الحركات الإصلاحية في بعض البلاد العربية كحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في شبه الجزيرةالعربية ـ في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ـ كما يعد التأثير الأوربي (سلباً أو إيجاباً) ـ في بداية القرن الثالث عشر الهجري ـ ذا أثر بيِّن في بعض البلاد العربية كما هو الحال في سوريا ولبنان ومصر.

ويمتد هذا العصر إلى أيامنا هذه.

---

(١) خليط من شعوب وسط آسيا وشمالها فيهم المغول والأتراك وغيرهم ولهم الآن جمهوريج في الاتحاد السوفييتي تعرف باسمهم وسكانها خمسة ملايين.

مناقشة

١ – عرف الأدب .

٢– اذكر أنواع الشعر، وعرفها .

٣– اذكر أنواع النثر إجمالاً .

٤– تحدث بإيجاز عن أربعة من أغراض دراسة الأدب .

٥– يُقسَّم تاريخ الأدب إلى عدة عصور . اذكرها محدداً بداية كل عصر ونهايته .

العصر الجاهلي

لمحة عن حياة العرب في العصر الجاهلي.

(أ) الحياة الاجتماعية:

ينقسم المجتمع العربي في العصر الجاهلي إلى قسمين: بدو وحضر، فالبدو يسكنون الصحاري، والحضر يسكنون القرى والمدن.

فبلاد اليمن عرفت الحضارة والتمدن، ومكة في تهامة مدينة تجارية، ويثرب التي هي المدينة المنورة مدينة تعتمد على الزراعة، وحَجْر في اليمامة مدينة تعتمد على الزراعة والتجارة، وهَجَر التي هي الأحساء مدينة تعتمد على الزراعة.

وقد قامت للعرب تجمعات حضارية في العراق والشام، ففي العراق قامت دولة المناذرة، وفي الشام دولة الغساسنة، ومعيشة العرب تخضع لنوع الحياة التي يعيشونها، ففي المدن حياة فيها نوع من الترف حيث تتوافر الحبوب والزيوت والملابس والفرش وهذا النابغة الذبياني يصور جانباً من حياة علية القوم في جلّق حيث يقول:

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيَّونَ بالريحانِ يومَ السَّبَاسبِ[1]

تُحَيِّيهِمُ بِيضُ الولائِدِ بَيْنَهمْ ... وأَكْسِيَةُ الإِضْرِيجِ فَوْقَ المَشَاجِبِ[2]

يَصُونونَ أَجْسَاداً قَدِيماً نَعِيمُهَا ... بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ المَنَاكِبِ[3]

وفي القرى يقتات الناس على التمر والحبوب واللحوم وهي قليلة. وفي البادية يعيشون على ألبان الإبل والضأن. ويعتمد البعض على الصيد بالإضافة إلى الحبوب، والحياة في البادية فيها مشقة، والحصول على القوت في سنوات الجدب ليس سهلاً، ومن هنا كان للكرم دور فعال وأصبح من الصفات التي تنهض بصاحبها وتسمو به إلى مرتبة الشرف.

---

(١) رقاق النعال: أي نعالهم ليست غليظة. طيب حجزاتهم: كناية عن إعفاء الفروج. الريحان: كل نبات طيب الرائحة. يوم السباسب: يوم عيدلهم.

(٢) الولائد: جمع وليدة وهي الأمة الشابة. الإضريج: الخز الأحمر. المشاجب: أعواد تعلق عليها الثياب.

(٣) خالصة الأردان خضر المناكب: نوع من الثياب. والأردان: الأكمام وهي خالصة من نوع واحد أما مناكبها فهي خضر. والأبيات في ديوان النابغة ص٤٧.

والعرب لهم مثل عليا يعتمدون عليها في تنظيم حياتهم، وفي علاقاتهم مع بعضهم؛ فمن تلك المثل: حفظ حق الجار سواء كان لاجئاً أو جاراً عادياً، ومنها الوفاء بالعهد، ومنها نجدة المستنجد، وحماية الضعيف، والعفو عند المقدرة، والأنف، وإباء الضيم، وإذا أخل واحد منهم بصفة طيبة تعارفوا عليها فإنهم يعلنون ذلك على الملأ في الأسواق العامة بل يرفعون لواء في سوق عكاظ أوغيره علامة على التشهير به. ولذلك فإن الحادرة الذبياني يعتز بأنه لم يُرْفَع لواء لأحد من قيلته وذلك في قوله:

أَسُمَيَّ ويحكِ هل سَمِعْتِ بغدْرَةٍ رُفِعَ اللواءُ لنا بها في مَجْمَعِ[1]

وبجانب هذه المثل توجد عادات سيئة منها: شرب الخمر، ولعب القمار، يقول طرفة[2]:

ومازالَ تَشْرَابي الخمور ولذَّتي وبيعي وإنفاقي طَرِيفي وَمُتْلدي[3]

إلى أن تحامتني العشيرةُ كلُّها وأفردت إفراد البعير المُعَبَّد[4]

ومن عاداتهم السيئة: وأد البنات خوف الفقر أو خوف العار إلى غير ذلك من العادات السيئة التى أثرت عنهم.

(ب) الحياة السياسية:

عندما تحدثنا عن الحياة الاجتماعية بيَّنا أن العرب ينقسمون إلى قسمين: بدو وحضر.

وسياسة المجتمعات مرتبطة بتكوينها الاجتماعي فسياسة البدو تختلف عن سياسة الحضر؛ فالبادية تتكون من القبائل، والقبيلة تنقاد لرئيسها الذي نصب نفسه عليها عن طريق اقتناع أفراد القبيلة بالصفات التي يتميز بها ذلك الرئيس، وغالباً ما تكون تلك الصفات الشجاعة والكرم والحلم والعفو والأناة في الأمور. ورئيس القبيلة هو الذي يقودها في الحرب ويدير أمورها في السلم.

---

(١) الحادرة: لقبه واسمه قطبة بن محصن بن جرول بن ذبيان وهو من شعراء الجاهلية. والبيت في المفضليات ٤٥.

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري، شاعر جاهلي عاش في شرق الجزيرة العربية وتوفي سنة ٦٠ قبل الهجرة.

(٣) الطريف ماجمعه. والتالد ما وصل إليه بالإرث والمعنى صرفت مالي القديم والجديد.

(٤) تحامتني: تركتني. البعير المعبد: الأجرب. والبيتان في شرح القصائد التسع ١/ ٢٦١.

ونظام الحضر السياسي يختلف عن القبائل البدوية؛ فسكان مكة من قريش لهم رئيس يخضعون لحكمه ولكنه لا ينفرد بكل شيء وإنما يوزع المناصب التي تدير شؤون مكة بين عدد من أفراد قبيلة قريش؛ فكانت السقاية في بني هاشم، والراية عند أبي سفيان بن حرب، ومساعدة منقطع الحاج (الرفادة) في بني نوفل، وكان مفتاح الكعبة وحجابتها في بني عبد الدار، وكذلك الإشراف على دار الندوة ورئاسة قريش تنتقل من فرد إلى آخر . وقد تولاها أبو سفيان في زمن بعثة الرسول ﷺ وهذا النظام خاص بقريش في مكة فلا هو النظام القبلي ولا هو النظام الملكي السائد في بعض بلاد العرب .

وهناك أنظمة سياسية متشابهة في كل من اليمن والحيرة والشام وشمالي الجزيرة العربية .

ففي اليمن قامت دول كان لها حظ من التنظيم السياسي، وهذه الدول هي دولة معين ودولة سبأ ودولة حمير.

وفي الحيرة قامت دولة المناذرة، ومن ملوكها المنذر ابن النعمان والنعمان بن المنذر، وهي إمارة كبيرة وكانت تخضع للفرس ولا تخالفهم.

وفي الشام قامت دولة الغساسنة التي لا يختلف نظامها السياسي عن دولة المناذرة في العراق، وقد قامت هذه الدولة بدعم من الروم .

وهناك دولة كندة التي شملت شمالي الجزيرة العربية فيما يعرف اليوم ببلاد الجوف وتيماء وحائل والقصيم ويمتد نفوذها – أحياناً – إلى اليمامة، ومن ملوك هذه الدولة الحارث بن عمرو وحُجْر والد امرئ القيس الشاعر، وهو الذي زالت دولة كندة على يده عندما قتله بنو أسد .

(جـ) الحياة العقلية :

إذا تتبعنا شعر العرب وخطبهم وأمثالهم وحكمهم وجدناها تشتمل على ما أنتجته عقولهم من رأي سديد وفكرة صائبة وإشارة لطيفة، وكان الشعر عندهم له شأن عظيم وكذلك الخطابة؛ فالخطيب والشاعر من المقدمين في المجتمع الجاهلي. والعرب ليسوا بمنأى عن الأمم الأخرى، فهم يختلطون بالأحباش والروم والفرس، أما اختلاطهم بالأحباش ففي اليمن، وأما اختلاطهم بالروم ففي سوق دومة الجندل، وأما اختلاطهم بالفرس ففي الحيرة وفي سوق المشقَّر في هجر.

وكان عدد كبير من شعراء العرب ومن رؤسائهم وحكمائهم يفدون على النعمان ملك الحيرة، وعلى كسرى ملك الفرس، وعلى الغساسنة بالشام.

وبالإضافة إلى نقل العلوم من الأمم الاالمجاورة فالعرب لهم معارفهم الخاصة التي ابتكروها من عندهم بسبب الحاجة إليها؛ مثل معرفة الأنساب فهم يحفظون أنسابهم ويعلمونها أولادهم؛ لأنهم في الجاهلية يعتمدون على القرابة؛ فالقبيلة هي التي تحمي أفرادها والذي ليس له قبيلة يلجأ إلى قبيلة تحميه، بل إنهم تعدوا ذلك إلى معرفة الأثر ومعرفة الجاني عن طريق أثره في الأرض، وهذه معرفة دقيقة يترتب عليها حفظ الأمن، والدليل على ذلك أن هذه الخبرة القديمة مازالت مستعملة حتى الآن.

وكان العرب يعرفون شيئاً من الطب فيداوون مرضاهم بالأعشاب أو بالكي أو ببعض الأدوية الأخرى التي ينقلونها من الأمم المجاورة. وأما معرفة العرب بالنجوم والأنواء فهي متقدمة فهم يعرفون مواسم الأمطار ووقت زراعة الحبوب والأشجار، وهذه المعارف الجاهلية لازالت سائدة في جزيرة العرب الآن.

ومن معارف العرب الرياضة والفروسية والكر والفر واستعمال أدوات القتال.

أيام العرب وأثرها في الأدب

يقصد بأيام العرب: الأيام التي وقعت فيها حروب، سواء أكانت بين القبائل العربية بعضها مع بعض أم بين العرب وبين جيرانهم من الفرس والأحباش.

وأيام العرب تصور جانباً من حياتهم، فلو تتبعنا حياة العرب في الجاهلية لوجدنا أن الحروب والغارات والحديث عنها، وقول الشعر فيما يتعلق بها يشغل قسماً كبيراً من أوقاتهم على مدار السنة.

وأسباب أيام العرب كثيرة ومتنوعة منها: النزاع على المراعي والنزاع على المياه، والعصبية والانتصار للقبيلة، والأخذ بالثأر، والمحافظة على الشرف والرياسة.

والشعر الجاهلي وثيق الصلة بهذه الأيام فكثير من أغراضه مبني على تلك الأيام؛ فالفخر والحماسة والرثاء والهجاء لها ارتباط واضح بما حصل في تلك الأيام، ومن أيام العرب المشهورة:

يوم ذي قار :

من أشهر أيام العرب كان بين العرب والفرس، وانتصر فيه العرب وكان في مبعث الرسول ﷺ وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم: فقال الأعشى من قصيدة:

لو أن كل مَعَدٍّ كان شاركَنَا ... في يوم ذي قارَ ما أخطاهمُ الشرفُ

لما أمالوا إلى النُّشَّاب أيديَهُمْ ... مِلْنا بِبِيضٍ لمثل الهامِ تختطفُ

بَطَارِقٌ وبنو مَلْكٍ مرازبةٌ ... من الأعاجمِ في آذانِها الشُّنُفُ

كأنما الآلُ في حافات جَمْعِهِمُ ... والبيضُ برقٌ بدا في عارضٍ يَكِفُ

ما في الخدودِ صدودٌ عن سيوفِهِمُ ... ولا عن الطعنِ في اللبَّاتِ مُنْحَرَفُ

وقال العُديْل بن الفَرْخ العجلي:

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لمكْرُمَةٍ ... إلا اصْطَلَيْنا وكُنَّا موقدي النارِ

وما يعدُّون من يومٍ سمعتُ به ... للناس أفضلَ من يومٍ بذي قارِ

جئنا بأسلابهمْ والخيلُ عابسةٌ ... لما استَلَبْنا لكسرى كلَّ أسوارِ

يوم خزازى:

كان بين اليمنيين والمعديين، ولم تزل اليمن قاهرة لمعد حتى كان هذا اليوم، فانتصرت معد وصارت لها المنعة، ولم تزل كذلك حتى جاء الإسلام وكان هذا اليوم بزعامة كليب بين ربيعة التغلبي وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم التغلبي:

ونحن غَداةَ أُوقدَ في خزازى ... رَفَدنا فوق رِفْد الرافدينا

وكُنَّا الأيمنين إذا الْتَقَيْنا ... وكان الأيْسرين بنو أبينا

فصالوا صولةً في من يليهم ... وصُلْنا صولةً في من يلينا

فآبوا بالنِّهابِ وبالسبايا ... وأُبْنَا بالملوكِ مصفَّدينا

مناقشة

١- قامت للعرب في الجاهلية إمارات في الجزيرة العربية . اذكرها.

٢- اذكر ما تعرفه عن معارف العرب العقلية.

٣- ما أسباب الحروب التي تقع بين العرب في العصر الجاهلي؟

٤- بَيْن مَنْ وقع يوم ذي قار ، وما نتيجته؟

الشعر الجاهلي

نشأة الشعر الجاهلي وروايته :

الشعر هو الأثر الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم .

والشعر العربي قديم ولكن الذي وصل إلينا هو ما قيل في العصر الجاهلي. ومن أقدم ما وصل إلينا أشعار المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس وغيرهم من شعراء الجاهلية ، فأول من قصد القصائد وأكثر من قول الشعر الذي وصل إلينا هو المهلهل بن ربيعة التغلبي ، ثم امرؤ القيس. وشعر امرئ القيس أقدم شعر جيد ، ويعتبر رائد الشعر الجاهلي لأن شعره هو أول شعر قوي مكتمل يتناقله الرواة .

وقد عاش امرؤ القيس في النصف الأول من القرن السادس الميلادي ويأتي بعده من الشعراء المشهورين الحارث بن حِلِّزَة اليشكري البكري . ويليه عمرو بن كلثوم التغلبي ، ثم عنترة العبسي، ويلي عنترة زهير بن أبي سُلْمَى، واشتهر النابغة الذبياني والأعشى و لبيد بن ربيعة العامري الذي أدرك الإسلام وأسلم. فهؤلاء الشعراء وصلت إلينا أشعارهم ، وكلهم قد عاشوا في العصر الجاهلي .

وقد وصل إلينا الشعر العربي عن طريق الرواية، فمنذ أن عرف الشعر الجاهلي وله رواة ينقلونه إلى من بعدهم.

وبعد انتهاء القرن الهجري الأول برز في الكوفة والبصرة رواة نذروا أنفسهم لرواية الشعر بل إنهم جعلوا رواية الشعر وتدوينه حرفة لهم، ومن أشهر هؤلاء :

أبو عمرو بن العلاء، وحماد الرواية ، والمفضل الضبي، والأصمعي.

وقد دونت هذه الروايات في دواوين شعرية نجدها بين أيدينا الآن ومنها:

المفضليات ، والأصمعيات ، وحماسة أبي تمام ، وحماسة البحتري ، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

أغراض الشعر الجاهلي

أغراض الشعر الجاهلي هي الموضوعات التي نظم فيها شعراء الجاهلية شعرهم ؛ فإذا كان قصد الشاعر وغرضه من الشعر الاعتزاز بنفسه أو قبلته فشعره فخر، وإذا كان قصد الشاعر التعبير عن الإعجاب بشخص ما في كرمه أو شجاعته أو غير ذلك فشعره مدح ، وإذا كان قصده وغرضه النيل من شخص ما تحقيره فذلك الهجاء ، وإذا كان الشاعر يهدف إلى إظهار الحزن والأسى فذلك الرثاء ، وإذا حَلَّقَ الشاعر في الخيال فرسم صوراً بديعة فذلك الوصف ، وإذا عَبَّر عن حديثه مع النساء فذلك الشعر هو الغزل ، وإذا استعطف بشعره أميراً أو غيره فهو الاعتذار، وإذا نظر في الكون وحياة الناس فتلك الحكمة .

والقصيدة الواحدة في العصر الجاهلي تشمل عدداً من الأغراض ؛ فهي تبدأ بالغزل ثم يصف الشاعر الصحراء التي قطعها ويتبع ذلك بوصف ناقته ، ثم يشرع في الغرض الذي أنشأ القصيدة من أجله من فخر أو حماسة أو مدح أو رثاء أو اعتذار ، ويأتي بالحكمة في ثنايا شعره فهو لا يخصص لها جزءاً من القصيدة.

وفيما يلي أهم أغراض الشعر الجاهلي :

المدح :

يعتبر من أهم الأغراض التي قال فيها شعراء الجاهلية شعرهم ؛ وذلك أن الإعجاب بالممدوح والرغبة في العطاء تدفعان الشاعر إلى إتقان هذا الفن من القول ، فيسعى الشاعر إلى قول الشعر الجيد الذي يتضمن الشكر والثناء، وقد يكون المديح وسيلة للكسب . والصفات التي يُمْدَحُ بها الممدوح هي : الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج والعفو عند المقدرة وحماية الجار، وكثير من شعراء الجاهلية قالوا شعراً في هذا الغرض، فهم يمدحون ملوك المناذرة في الحيرة أو ملوك الغساسنة في الشام ويأخذون عطاءهم وجوائزهم . وكانت صلة طرفة بن العبد والمتلمس والنابغة الذبياني وثيقة بملوك الحيرة، ولا يقل بلاط الغساسنة عن بلاط المناذرة في استقبال الشعراء فهم يغدقون المال الوفير على من يمدحهم من الشعراء ، ومن أشهر الشعراء الذين وفدوا على ملوك غسان، النابغة الذبياني وحسان بن ثابت. ومن فحول الشعراء من جعل غُرَّ قصائده في رؤساء قومه كما فعل زهير بن أبي سلمى .

الهجاء :

غرض الشاعر وهدفه من الهجاء : تجريد المهجو من المُثُل العليا التي تتحلى بها القبيلة ، فيجرد المهجو من الشجاعة فيجعله جباناً ، ومن الكرم فيصفه بالبخل ، ويلحق به كل صفة ذميمة من غدر وقعود عن الأخذ بالثأر.

الرثاء :

هو إظهار الحزن والأسى والحرقة بسبب فقد قريب أو عزيز ، مع إبراز فضائل الميت وما كان يتحلى به من صفات كريمة.

وتبرز جودة الرثاء إذا كان في ابن أو أخ أو أب ؛ فرثاء دريد بن الصمة لأخيه عبدالله من أجود الرثاء ، ورثاء الخنساء لأخيها صخر يعتبر من الرثاء المؤثر في النفوس ، وكانت تشهد عكاظاً وتدور في السوق وهي في هودج على جمل وقد وضعت علامة على هودجها ثم تقوم بإنشاد الشعر فتؤثر في من تمر به .

وقد تكون اللوعة بادية في الرثاء وإن لم يكن في قريب ، نجد ذلك في رثاء أوس بن حَجَر لفَضَالَة بن كلدة حيث يقول :

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعاً ... إِنَّ الذي تَحْذَرين قد وَقَعا

إِنَّ الذي جَمَّعَ السَّمَاحةَ والنَّـ ... ـجْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعَا

الأَلْمَعِيَّ الذي يَظُنُّ لَكَ الظَّـ ... ـنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا[1]

الفخر والحماسة :

الفخر هو الاعتزار بالفضائل الحميدة التي يتحلى بها الشاعر أو تتحلى بها قبيلته ، والصفات التي يفتخر بها الشعراء هي الشجاعة والكرم والنجدة ومساعدة المحتاج ، والفخر يشمل جميع الفضائل . أما الحماسة فهي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحروب ، فالحماسة تدخل في

---

(١) الألمعي : الذكي الذي إذا سمع أول الكلام عرف آخره . والأبيات في ديوان أوس ابن حجر ص ٥٣ والأغاني ١١/ ٧٤ . وأوس بن حجر شاعر جاهلي من تميم توفي سنة ٣ق هـ وفضالة بن كلدة من بني أسد .

الفخر ولكن ليس كل فخر حماسة ، فنجد الحماسة في أشعار عنترة العبسي وعمرو ابن كلثوم ، ومعلقة عمرو تفيض بالحماسة ومن ذلك قوله :

ونحن التاركون لما سَخِطْنا ... ونحن الآخذون إذا رضينا

ونشربُ إن وَرَدْنا الماءَ صفواً ... ويشربُ غيرُنا كَدَراً وطينا

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونَبْطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادرينا

متى نَنْقُلْ إلى قومٍ رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طَحينا

الغزل :

هو التحدث عن النساء، ووصف ما يجده الشاعر حيالهن من صبابة وشوق، وما تُحدِثُ حياةُ الترحال في الصحراء من تفرق بين المحبين. وقد طغى هذا الغرض على الشعراء فأصبحوا يصدِّرون قصائدهم بالغزل لما فيه من تنشيط للشاعر واندفاعه فيقول الشعر ، ولما فيه من تنشيط للمستمع لذلك الشعر .

وكان معظم الشعراء يعبرون عن لوعتهم وحبهم في أبيات تصور خلجات النفس وتأثرها بالحب فكان كثير من الغزل في الشعر الجاهلي غزلاً عفيفاً إلا ماكان يصدر من بعض الشعراء الذين يغرقون في وصف مفاتن المرأة كامرئ القيس .

الوصف :

الوصف من الأغراض التي برع فيها شعراء الجاهلية وهو يرد في معظم أشعارهم ؛ فالشاعر الجاهلي يركب ناقته في أسفاره ، فيصفها وصفاً دقيقاً ، وهو يمر بالصحراء الواسعة فيصورها تصويراً بارعاً ، يصف حرارتها في القيظ وما فيها من السراب الخادع ، ويصف برودتها في الشتاء ، ويركب فرسه للنزهة أو الصيد فيصفه . وقد برع شعراء الجاهلية في وصف الفرس وإعداده للصيد ، ونجد ذلك عند امرئ القيس وأبي دؤاد الإيادي.

وغرض الوصف في العصر الجاهلي غرض ليس مقصوداً لذاته وإنما يأتي في عرض القصيدة ليتوصل الشاعر إلى غرضه الرئيس من المدح أو الهجاء أو الرثاء أو الفخر .

الاعتذار :

الاعتذار هو استعطاف المرغوب في عفوه ، حيث يبين الشاعر ندمه على مابدر منه من تصرُّفٍ سابق.

وتقديم العذر في عرض ملائم يقنع المُعْتَذَرَ إليه المرجو عفوه – يدل على مهارة في القول وتفنن في الشعر .

وزعيم الاعتذار في العصر الجاهلي هو النابغة الذبياني الذي قال أجود اعتذار للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ومما خاطب به النعمان من ذلك الاعتذار قوله :

أتاني – أَبَيْتَ اللَّعن– أنك لُمتني ... وتلك التي أهتمُّ منها وأَنْصَبُ

فَبِتُّ كأنَّ العائداتِ فَرَشْنَ لي ... هَراساً به يُعْلَى فراشي ويُقْشَبُ[1]

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ

لئن كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عني خيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأَكْذَبُ

ولكنني كنْتُ امرأً لي جانبُ ... من الأرض فيه مسترادٌ ومذهبُ

ملوكٌ وإخوانُ إذا ما أتيتُهُمْ ... أُحَكَّمُ في أموالهم وأُقَرِّبُ

كفعلكَ في قومٍ أراك اصْطَنَعْتَهُمْ ... فلم ترهمْ في شُكْرِ ذلك أَذْنَبُوا

فلا تَتْرُكَنِّي بالوعيد كأَنَّني ... إلى النَّاس مَطْلِيٌّ به القارُ أَجْرَبُ

الحكمة :

الحكمة قول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور. و لها الأثر البالغ في النفوس ، فربما اشتهر الشاعر ببيت يشتمل على حكمة جيدة فيحفظه الناس ويتناقلونه ، وتشتهر القصيدة أو شعر ذلك الشاعر بسبب تلك الحكمة ، والحكمة ليست غرضاً مقصوداً لذاته وإنما هي من الأغراض التي تأتي في عروض الشعر.

---

(١) الهراس : نوع من الشوك ، يقشب : يخالط الفراش . ديوان النابغة ص ٧٢ .

وقد اشتهر عدد من الشعراء بحكمهم البليغة ، ومن أولئك زهير بن أبي سلمى الذي بث حكمه القوية في شعره فاشتهرت وتردّدت على ألسن الناس قديماً وحديثاً، وإذا نظرنا في معلقة زهير وجدناها تحظى بالكثير من حكمه ومن ذلك قوله :

ومَنْ هَابَ أسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ولَوْ رامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ[1]

وقوله:

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفي على الناس تُعلمِ[2]

ومثل زهير، علقمة بن عَبَدَة الذي يقول :

والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا له ثَمَنٌ مِمَّا يَضِنُّ به الأقْوَامُ مَعْلُومُ

والجودُ نَافِيَةٌ لِلْمَالِ مُهْلِكَةٌ والبُخْلُ بَاقٍ لأهْلِيْهِ ومَذْمُومُ

وقد تأتي الحكمة في صورة نصيحة وإرشاد كما فعل المثقب العبدي في قصيدته التي أولها :

لاَ تَقُولَنَّ إذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تُتِمَّ الوَعْدَ في شيءٍ نَعَمْ

حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ من بَعْدِ لا وقَبِيْحٌ قَوْلُ لا بَعْدَ نَعَمْ

والحكم في الجاهلية تعبر عن التمسك بالمثل العليا السائدة في المجتمع ، فهي ترشد إلى الأخلاق الفاضلة التي ترفع من قدر الإنسان عندما يتمسك بها ، والحكمة ليس لها مكان معين في القصيدة ؛ فقد تأتي مبثوثة في القصيدة ، وقد تأتي في أول القصيدة أو في آخرها .

---

(١) انظر القصيدة في شرح القصائد التسع ١/٣٤٨ .

(٢) خليقة: صفة خُلُقيَّة.

خصائص الشعر الجاهلي

(أ) خصائص المعاني :

معاني الشعر هي الخواطر والنزعات التي تجول في ذهن الشاعر فلا نعرفها حتى يؤديها في قوالب شعرية ؛ فالمعنى في الشعر كالروح في الجسد ؛ فالروح هي قوام الجسم ولكنها لا توجد إلا حيث يوجد الجسم وكذلك المعنى في الشعر لا يوجد إلا بوجود الألفاظ.

ومما تتميز به معاني الشعر الجاهلي ما يلي :

١- **البساطة.** فهي تعبر عن قصد الشاعر في سهولة ويسر بحيث يعرف السامع مايريد الشاعر منذ سماعه للبيت أو الأبيات التي تحمل المعنى ، وسبب السهولة هو أن المعاني تعبر عن أشياء محسوسة.

٢- **الوضوح وعدم التعقيد أو التكلف.** فالشعر يقال على البديهة أحياناً أو يقال استجابة للرغبة التي يحس بها الشاعِر ، وأما ما ينقل عن زهير بن أبي سلمى من أنه يُعِدُّ شعره قبل عرضه على الناس بزمن طويل فإن ذلك لا يدخل في باب التكلف وإنما يريد زهير تجويد شعره بإعادة النظر فيه عدة مرات قبل عرضه على الناس وانتشاره بينهم .

٣- **الاعتدال في أداء المعنى وعدم المبالغة.** وليس معنى ذلك أن المبالغة غير موجودة، فالشعر الجاهلي فيه بعض المبالغات ولكنها قليلة إذا قورنت بالمبالغة في الشعر العباسي ، ومن الأبيات التي تشتمل على المبالغة قول النابغة الذبياني في صفة السيوف :

تَقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعفَ نَسْجُهُ وتُوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ[1]

٤- **التصاقها بالمحسوس من الأشياء وابتعادها عن الجدل العقلي.**

---

(١) السلوقي : الدرع المنسوبه إلى سلوق . الصفاح : الحجارة ، وأراد بها الخوذة التي يقي بها الجند رؤوسهم . نار الحباحب : ذباب له شعاع بالليل .

٥- **عدم الترتيب** . فالمعاني التي تشتمل عليها القصيدة غير مرتبة فكل بيت يستقل بمعناه، ولو أردنا أن نغير ترتيب الأبيات في القصيدة لما تأثر المعنى العام؛ لأن البيت لا يؤدي معناه إلى ما بعده من الأبيات إلا في القليل النادر، أما الشيء الذي يغلب على القصائد فهو استقلال كل بيت بمعناه دون ارتباطه بما قبله أو بما بعده.

٦- **تشابه المعاني بين الشعراء**. فنجد المعاني التي يطرقها الشعراء متشابهة في الفخر والمدح والرثاء وغيرها ولذلك لم يجرؤ أي شاعر على ابتكار معان جديدة فأصبحت المعاني الجاهلية تتشابه في معظم القصائد.

(ب) خصائص الألفاظ

الألفاظ هي الوعاء الذي يحتوي تلك المعاني التي تقدم ذكرها . ومما تتميز به ألفاظ الشعر الجاهلي ما يلي :

١- **خلوها من التكلف والمحسنات الفظية** .

٢- **الميل إلى القوة والجزالة**. وخاصة في مواقف الحروب والحماسة والمدح ، على أنه لا يخلو الشعر الجاهلي من بعض الألفاظ التي توصف بالرقة والعذوبه وخاصة في مواقف الغزل ووصف الأطلال والديار .

٣- **غلبة استعمال الألفاظ لأداء المعنى الحقيقي** . أما الألفاظ التي تعبر عن المعاني المجازية فهي قليلة.

المعلقات

المعلقات : قصائد طوال من الشعر الجاهلي حافلة بالمعاني والأغراض، في جزالة لفظ وقوة رصف ودقة تركيب .

وقد عَرَفَ الناس قدر المعلقات وقيمتها فقدموها على غيرها وجعلوا شعراءها أئمة للشعراء في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور ، وما زال المتذوقون للشعر يعترفون بتقديم شعراء المعلقات . وسميت تلك القصائد بالمعلقات لأنها علقت بأستار الكعبة ، وتعليق الشعر الجيد على الكعبة ليس غريباً فمن عادة العرب أن يعلقوا الأمور المهمة على الكعبة؛ فعندما طال النزاع بين النبي ﷺ وقريش اتفقت قريش فيما بينها على أن تقاطع بني هاشم فلا يزوجونهم، ولا يتزوجون منهم، ولايبيعونهم شيئاً، وتعاهدوا على ذلك وكتبوا ذلك العهد في صحيفة علقوها في جوف الكعبة.

ومن أسماء المعلقات السموط وهي العقود؛ فالعرب يشبهون القصيدة الجيدة بالعقد الذي يعلق في صدر الحسناء، ومن أسمائها المذهّبات لأن تلك القصائد كتبت بماء الذهب قبل تعليقها، ومن أسمائها القصائد المشهورات؛ لأنها اشتهرت أكثر من غيرها، وسميت أيضاً السبع الطوال الجاهليات، والتزم بهذا الاسم من رأى أن المعلقات سبع.

وأصحاب المعلقات الذين اتفق عليهم أكثر الرواة هم:

١- امرؤ القيس ، ومطلع معلقته:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فَحوْمَلِ[١]

٢- طرفة بن العبد البكري ، ومطلع معلقته:

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ ببرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تَلوحُ كَبَاقي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليدِ[٢]

---

(١) سقط اللوى، الدخول ، حومل: أسماء مواضع.

(٢) الأطلال: ما شخص من آثار الديار. البرقة: حجارة يخالطها رمل. وثهمد: هضبة قرب القاعية في عالية نجد. الوشم: الخضاب.

٣- **زهير بن أبي سلمى المُزني ، ومطلع معلقته :**

أَمِـن أُمِّ أَوْفَـى دِمْـنَـةٌ لَـمْ تَـكَـلَّـمِ بِحَـوْمَـانَةِ الدَّرَّاجِ فَـالْمُتَـثَلَّمِ[١]

٤- **لبيد بن ربيعة العامري ، ومطلع معلقته :**

عَـفَتِ الدِّيارُ مَـحلُّهَـا فَـمُـقَـامُـهـا بِمِنىً تَأَبَّدَ غَـوْلُهَـا فَـرِجَـامُـهـا[٢]

٥- **عمرو بن كلثوم التغلبي ، ومطلع معلقته :**

أَلاَ هُبِّي بِصَـحْنِكِ فَـاصْـبَـحِـينَا وَلا تُبْـقِي خُـمُـورَ الأَنْدَرِينَا[٣]

٦- **عنترة بن شداد العبسي ، ومطلع معلقته :**

هَلْ غَـادَرَ الشُّـعَـرَاءُ من مُـتَـرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَـرَفْتَ الدَّارَ بَعْـدَ تَوَهُّمِ[٤]

٧- **الحارث بن حلزة اليشكري ، ومطلع معلقته :**

آذَنَتْنَا بِبَـيْنِهَـا أَسْـمَـاءُ رُبَّ ثَـاوٍ يُـمَـلُّ مِنْـهُ الثَّـوَاءُ[٥]

٨- **الأعشى : ميمون بن قيس ، ومطلع معلقته :**

ودِّعْ هُـرَيْـرَةَ إِنَّ الـرَّكْـبَ مُـرْتَـحِـلُ وهَـلْ تُـطِيـقُ وَدَاعـاً أَيُّـهَـا الرَّجُـلُ

وقد جعل بعض الرواة معلقة الأعشى القصيدة التي مطلعها :

مَـا بُـكَـاءُ الـكَـبِـيـرِ فِي الأَطْـلالِ وسُـؤَالِي ومَـا تَـرُدَّ سُـؤَالِي[٦]

---

(١) الدمنة : الأثر والرماد . وحومانة الدراج : اسم موضع في شمالي القصيم قريب من القيصومة (قيصومة النباج) والمتثلم : جبل في الجواء في القصيم .

(٢) عفت : درست : المحل : الموضع والمكان . والمقام : الإقامة . منى : هضبة حمراء فيها ماء قريبة من بلدة نفي وتبعد عن الدوادمي تسعين كيلا من جهة الشمال . تأبد : توحش . غول : جبل أحمر فيه ماء ويقع جنوبي منى ويبعد عنها أربعين كيلا . الرجام : هضاب صغار على رؤوسها حجارة وتعرف اليوم باللجام وتقع بين غول ومنى .

(٣) هبي : أي قومي من نومك . والصحن : القدح القصير الحيطان . اصبحينا : قدمي لنا الصبوح وهو ما يشرب في الصباح . الأندرين : موضع بالشام مشهور بجودة خموره . ويقصد بقوله : ولاتبقى خمور الأندرينا : أي لاتخفي الخمر الجيدة وتعطينا الرديئة .

(٤) يقال : ردمت الشيء : أي أصلحته . ومعنى (هل غادر الشعراء من متردم) أي هل ترك الشعراء معنى لم يطرقوه!

(٥) آذنتنا : أخبرتنا . البين : الفراق . والثاوي : المقيم .

(٦) يقول : ما بكاء شيخ كبير مثلي وسؤالي من لا يرد عليّ .

٩- النابغة الذبياني ، ومطلع معلقته :

يادَارَ مَـــيَّـــةَ بالعَلْيَـــاءِ فـــالسَّنَدِ أقْـوَتْ وَطالَ عَلَيْـهـا سـالَفُ الأبَدِ[١]

ويرى بعض الرواة أن معلقة النابغة هي القصيدة التي مطلعها :

عـوُجُـوا فَـحَـيُّـوا لِنُعْمٍ دِمْنةَ الدَّارِ مـاذَا تُحَـيُّـون من نُؤْيٍ وأَحْـجَـارِ[٢]

١٠- عبيد بن الأبرص ، ومطلع معلقته :

أَقْـفَـرَ من أَهْلِهِ مَلْحُـوبُ فـالقُطَّبِـيَّـاتُ فـالذَّنُوبُ[٣]

---

(١) العلياء : الأرض المرتفعة . السند : ما علا من سفح الجبل . أقوت : خلت من أهلها . الأبد : الدهر .

(٢) عوجوا : قفوا . الدمنة مابقي من آثار الديار . النؤي : حفر حول الخباء لمنع المطر من الدخول في الخيمة .

(٣) ملحوب : منهل في شمالي القصيم يبعد عن بريدة ستين كيلا . القطبيات : هضاب في غربي القصيم وهي قريبة من سواج . الذنوب : ثلاث هضاب غرب بلدة عفيف بما يقارب تسعين كيلا .

مناقشة

١- يعتمد العرب في حفظ أشعارهم على الرواية. ما أثر الرواية في حفظ الشعر؟

٢- اذكر خمسة من رواة الشعر في القرن الثاني الهجري.

٣- اذكر أغراض الشعر الجاهلي إجمالاً.

٤- انفرد بالاعتذار شاعر من شعراء العصر الجاهلي. فمن هو؟

٥- ما السمات التي تميز معاني الشعر الجاهلي؟

٦- اذكر خصائص ألفاظ الشعر الجاهلي.

٧- ما المعلقات؟ ولم سميت بذلك ؟ واذكر بعض أسمائها الأخرى التي اشتهرت بها.

٨- اذكر مطالع المعلقات العشر؟ مع ذكر أصحابها.

نماذج من الشعر الجاهلي

(١) في الكرم لحاتم الطائي : [١]

١- مـــهـــلاً نوارُ أقلِّي اللومَ والعـــذَلا ... ولا تقـــولي لشيءٍ فـــات : مـــا فَـــعَـــلاَ

٢- ولا تقـــولي لمالٍ كنتُ مـــهـلكَهُ ... مـهـلاً ، وإن كنتُ أعطي الجنَّ والخَبَـلا [٢]

٣- يرى البـخـيلُ سـبـيلَ المال واحـدةً ... إن الجـــوادَ يرى في مـــاله سُـــبُـــلاَ

٤- إن البـخـيلَ إذا مـا مـات يتـبـعُـه ... ســـوءُ الثناء ويحـــوي الوارثُ الإبلاَ

٥- فـاصْـدُقْ حـديثَك إن المرء يتـبـعـهُ ... مـا كـان يَبْني إذا مـا نَعْـشُـهُ حُـمِـلاَ

٦- ليت البـــخـــيلَ يراه الناس كُلُّهُمُ ... كـــمـــا يراهم ، فـــلا يُقْـــرَى إذا نَزَلاَ

٧- لا تَعـــذِليني على مـــالٍ وصلتُ به ... رحـمـاً ، وخـيـرُ سـبـيل المال مـا وصَـلاَ

٨- يسعَى الفتى ، وحِمَامُ الموتِ يُدْرِكُهُ ... وكُـلُّ يـوم يُـدَنِّي لـلـفَـــتَى الأجَـــلاَ

٩- إني لأعـلـم أني ســـوف يـدركُـني ... يومي وأصـبحُ عن دنيـاي مُـشْـتَـغِـلاَ

(٢) في الوصف لأوس بن حجر : [٣]

١- إني أرِقتُ ولم تَأرَقْ مـــعي صـــاحِ ... لِمُـــسْـــتَكِفٍّ بُعَـــيْـــدَ النوم لَوَّاحِ [٤]

٢- يا من لبـــرق أبِيتُ الليل أرقُـــبـــه ... في عـــارض كـــمـــضيء الصُّـبْحِ لَمَّـاحِ

---

(١) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي فارس شاعر جواد ، يضرب المثل بكرمه وقد توفي سنة ٤٦ قبل الهجرة . والنص في ديوان حاتم ص ٢٠٠ .

(٢) الخبل : الناس .

(٣) أوس بن حجر بن مالك التميمي شاعر جاهلي ولد سنة ٩٨ ق هـ وتوفي سنة ٢ ق هـ . والأبيات في ديوانه ص ١٥ .

(٤) المستكف : المطر الهاطل .

٣- دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدبُهُ يكادُ يدفعُه من قام بالراحِ [١]

٤- كأنَّ رَيِّقَهُ لما علا شَطَباً أقْرابُ أبْلَقَ يَنْفي الخَيْلَ رَمَّاحِ [٢]

٥- هبَّت جنوب بأعلاهُ ومال به أعجازُ مُزنٍ يسح الماء دلاحِ [٣]

٦- فالْتَجَّ أعلاه ثم ارْتَجَّ أسفلهُ وضاق ذرعاً بحمل الماء مُنْصَاحِ [٤]

٧- كأنما بين أعلاهُ وأسفَلِهِ رَيْطٌ منشَّرةٌ أو ضوءُ مصباحِ [٥]

٨- فأصبح الروضُ والقيعانُ ممرعةً من بين مُرْتَفِقٍ منها ومُنْطَاحِ [٦]

(٣) في الحكمة لعلقمة بن عبدة : [٧]

١- والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا له ثمنٌ مما يَضِنُّ به الأقوامُ معلومُ

٢- والجود نافيةٌ للمال مَهْلكَةٌ والبخلُ باقٍ لأهليه ومذمومُ

٣- والمالُ صوفُ قَرارٍ يلعبون به على نِقَادتِهِ واف ومَجْلُومُ [٨]

٤- ومُطْعِمُ الغُنْمِ يوم الغُنْمِ مُطْعَمُهُ أنَّى تَوَجَّه والمحروم محرومُ

٥- والجهل ذو عَرَضٍ لا يستَرادُ لَهُ والحِلْمُ آونةً في الناسِ مَعْدُومُ

---

(١) مسف : شديد الدنو ، هيدبه : ماتدلى منه .

(٢) ريقه : ما أشرف منه . شطب : جبل شمالي القصيم . الأقراب : جمع القرب وهو الكشح (ما بين الخاصرة والضلوع) أبلق : أبيض وأسود .

(٣) دلاح : مثقل بالماء .

(٤) التج : صوت من اللجة، منصاح : منشق بالماء .

(٥) الريط : الملاءة .

(٦) المرتفق : ماء راكد . المنطاح : ماء سائل .

(٧) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس من بني تميم توفي سنة ٢٠ ق . هـ . ويلقب بالفحل؛ لجودة شعره وتقدمه على امرئ القيس في بعض القصائد .

(٨) قرار : غنم صغار الأجسام . على نقادته . على صغر أجسامه . الوافي : التام الكثير . المجلوم : المجزوز .

٦- ومن تعرض للغربان يزجُرها على سلامته لا بُدَّ مَشْؤوم

٧- وكل حصنٍ وإن طالتْ سلامتُه على دعائمه لا بد مهدومُ

(٤) في الحكمة أيضاً للمثقِّب العبدي : [١]

١- لا تقولَن إذا ما لم تُرِد إن تُتِمَّ الوعدَ في شئ نَعَمْ

٢- حسنٌ قولُ نَعَمْ من بعد لا وقبيحٌ قول لا بعد نَعَمْ

٣- إن لا بعد نعم فاحشةٌ فَبِلا فابدأ إذا خفت النَّدَم

٤- فإذا قلتَ نعم فاصبرْ لها بنجاح القول إن الخُلْفَ ذَم

٥- واعلم انَّ الذَّمَّ نقصٌ للفتى ومتى لا يَتَّقِ الذَّمَّ يُذَم

٦- أُكرِمُ الجَارَ وأرعى حقَّهُ إن عرفانَ الفتى الحقَّ كَرَمْ

٧- أنا بيتي من مَعَدٍّ في الذُّرَى وليَ الهامةُ والفرعُ الأشَم

٨- لا تراني راتعاً في مَجْلسٍ في لُحُومِ النَّاس كالسَّبْعِ الضَّرِمْ [٢]

٩- إن شَرَّ الناسِ مَنْ يَكْشُر لي حين يلقاني وإن غِبْتُ شَتَمْ [٣]

١٠-وكلامٌ سيءٌ قد وُقِرَتْ أُذُني عنه وما بي من صَمَمْ [٤]

١١-فَتَعزَّيتُ خشاةً أن يَرَى جاهلٌ أني كما كان زَعَمْ

١٢-ولَبَعْضُ الصَّفْح والإعراض عَنْ ذي الخَنَا أبْقى وإن كان ظَلَمْ [٥]

---

(١) هو العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبدالقيس من ربيعة توفي سنة ٣٥ ق هـ .

(٢) راتعاً : آكلا . الضرم : الشديد النهم .

(٣) يكشر لي : يضحك ويبدي أسنانه .

(٤) الوقر : ثقل السمع .

(٥) الخنا : الفحش . القصيدة في المفضليات ٢٩٣ .

دراسة مُفصَّلة لبعض الشعراء الجاهليين :

امـــرؤ القيس

حياته :

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث من قبيلة كندة باليمن ، ولدفي بلاد بني أسد[1] في نجد حيث كان والده حُجْر والياً من قبل أبيه على بني أسد وغطفان، وكان جده الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملكاً عظيماً، ففي بيت الإمارة الكبير ولد امرؤ القيس سنة ١٣٠ ق . هـ ٤٩٧ م . وتفتحت عيناه على مملكة جده الكبيرة، فنشأ في نعمة وترعرع في بيت عز وشرف .

وفي أول شبابه بدأ يميل إلى اللهو وقول الشعر ومصاحبة الصعاليك ، وكان ذلك السلوك لا يرغب فيه والده حجر ، فقد كان يتطلع إلى ابن حازم يساعده على الوقوف في وجه الصعاب التي تحدق به ، وقد غضب حجر على ابنه وطرده ؛ فأخذ امرؤ القيس يقضي وقته في النزهات المتواصلة واللهو ومعاقرة الخمر .

وبينما هو مقيم مع ندمائه وأصحابه في (دمون) وهي قرية في حضرموت ، رزئ بمقتل والده حجر ، فقال كلمته المشهورة : « ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر » . وسبب مقتل والده : أن بني أسد تقاعست عن دفع الإتاوة فأرسل حجر جباته وأمرهم بضرب من تقاعس أو تأخر عن دفع الإتاوة ، فما كان من بني أسد إلا أن أجمعوا أمرهم وقتلوا حجراً ، وهذا ما أشار إليه امرؤ القيس في قوله :

أتاني حـــديثٌ فَكَذَّبْتُـــهُ ... بأمـــر تَـزَعْـــزَعُ منه القُلَلْ

بقـــتل بني أسَـــدٍ ربَّهُمْ ... ألا كُلُّ شَيء ســـواه جَلَلْ[2]

ثم مضى امرؤ القيس يطلب ثأر أبيه في بني أسد وأعانه على ذلك أخواله من بكر وتغلب ، ثم تخلوا عنه حين لجَّ في الخصومة وأسرف في سفك الدماء والقتل .

---

(١) تعرف اليوم بالقصيم .

(٢) جلل : هين .

وقد ظل شريداً ينتقل بين أحياء العرب، إلى أن نزل على السموأل بتيماء فأجاره، وطلب إليه امرؤ القيس أن يكتب إلى الحارث بن أبي شمر ـ أمير الغساسنة بالشام ـ ليوصله إلى قيصر ملك الروم، فأجاب السموأل طلبه، ثم أخذ امرؤ القيس الكتاب واتجه إلى الحارث الغساني في (جِلِّق) الذي ساعده في الوصول إلى قيصر ، وسار امرؤ القيس حتى وصل إلى قيصر فاستقبله قيصر وأكرمه وأنجده بجيش كبير ، فخرج امرؤ القيس من بلاد الروم فرحاً بماحصل عليه ، لكن أحد رجال بني أسد يقال له (الطماح الأسدي) استطاع الوصول إلى قيصر ، فوشى بامرئ القيس وأوغر صدر قيصر عليه ، فغضب وأمر باسترداد الجيش ، وأرسل إلى امرؤ القيس حلة مسمومة ما إن لبسها حتى أصيب بعلة تقرح منها جلده ، واستبد به المرض والحزن فمات بأنقره، ولذا لقب بذي القروح ، كما لقب بالملك الضلِّيل.

شعره :

امرؤ القيس شاعر مشهور تناقل الناس شعره في حياته وحفظوه ، وأعجبت قريش بمعلقته فعلقتها على الكعبة وهي أول قصيدة تعلق على الكعبة ، وقد أخذ الرواة والشعراء يحفظون شعره ويقلدونه، ويجمع مؤرخو الأدب على أنه زعيم الشعراء الجاهليين.

وشعر امرئ القيس متأثر بحياته التي عاشها فمعظم شعره قاله في وقت شبابه عندما كان يلهو ويمرح وينتقل من غدير إلى آخر ويقضي وقته في الغزل ومحادثة النساء واستماع الغناء ، فتلك الحياة اللاهية صورها أدبه خير تصوير ، وبعد قتل أبيه تغيرت حياته فتغير أدبه فأصبح يقول قصائد تشمل على الحكمة ومصير الإنسان وما كان يخبئ له القدر من الأحداث الجسيمة . وأهم الموضوعات التي قال فيها امرؤ القيس شعره هي :

١ـ الغزل :

غزل امرئ القيس غزل عابث وهو عبارة عن حكايات وقصص طريفة تشتمل على صلته بالنساء وحظوته عندهن ، وكان يسبك ذلك الحديث في شعر قصصي طريف ، فإذا قرأنا المعلقة وجدنا فيها وصفاً فيها حياً ليوم دارة جلجل [1] عندما نحر ناقته للعذراى وقضى يومه يشوي اللحم ويلهو مع النساء ، قال :

---

(١) دارة جلجل : روضة في هضب الدواسر بالقرب من وادي الدواسر .

ويوم عـــقـــرتُ للعـــذارى مطيَّـــتي فـيـا عـجـبـاً من رحلهـا المُتَـحَـمَّل
فظل العـــذارى يرتَمِـــيْنَ بلحـــمـــهـــا وشـحمٍ كَـهـدَّابِ الدِّمـقس المُفَـتَّل [1]

٢ـ الوصف :

أبدع امرؤ القيس في وصف طول الليل ، ووصف الفرس والصيد ووصف السحاب والأمطار نجد ذلك في قصائد مختلفة ، وهو في وصفه قد تقدم على غيره من الشعراء ، مثل قوله في وصف الفرس:

وقـد أغْـتـدى والطيـرُ في وُكُنَاتِهَـا بِمُنْجَـرِدٍ قَـيْـدِ الأوَابِد هَيْكَلِ [2]
مِكَرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبِلٍ مُـدْبِرٍ مَـعـاً كَـجُلْمُـودِ صَـخْـرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ [3]

٣ ـ شكوى الزمان :

بعد أن تغيرت الدنيا على امرئ القيس أصبح يقول شعراً مغايراً لشعره في شبابه ، فبعد أن قتل أبوه أصبح ينظر إلى المستقبل بعين الارتياب ، فهو يطالب بدم أبيه دون أن يحصل على طائل . وشكوى الزمان تظهر في هذه القصيدة :

أرانا مُـوضِـعينَ لأمـر غـيـبٍ ونُسْـحَـر بالطعـام وبالشـراب [4]
فَـبَـعْضَ اللومِ عَـاذِلَتي فـإنِّي ستكفـيني التـجـارب وانْتِسَـابي
إلى عِـرْقِ الثـرى وَشَـجَتْ عُـرُوقِي وهذا الموت يسلبني شـبـابي [5]
ونفـسي سـوف يسلُبُني وجِـرْمي فَـيُلْحِـقُني وشـيكاً بالتـراب

---

(١) يشبه الشحم بالحرير المفتول .

(٢) وكناتها : أماكنها . منجرد : قصير الشعر . الأوابد : الوحش . هيكل : ضخم .

(٣) الجلمود : الصخرة الصلبة .

(٤) موضعين : مسرعين .

(٥) وشجت : اتصلت .

وقـــد طَوَّفْتُ في الآفـــاقِ حـــتّى رضـــيت من الغنيـــمـــة بالإيابِ

أَبْعَـــد الحـــارثِ الملكِ بن عَـــمْـــرو وبعـد الخـيـرْ حُـجْـرٍ ذي القِـبَـابِ[1]

أُرَجِّي مـن صُـــــــروفِ الـدهـرِ لِـيـنـاً ولـم تَغْـــفُلْ عن الصُّمِّ الهـــضَـــابِ[2]

وأعـلـم أنّـني عـــــمّـــــا قَـلِـيْـلٍ ســـأَنْشَبُ في شَـبَـا ظُفْـرٍ ونَابِ[3]

كـــمـــا لاقى أبي حُـــجْـــرٌ وجَـــدِّي ولا أنسى قـــتـــيـــلاً بالـكُلابِ[4]

فهذه القصيدة تختلف عن القصائد التي قالها في شبابه فكلها شكوى ونظرة إلى المستقبل تحمل الشك والريبة ، فالبشر سائرون إلى مصير معروف هو الموت والشواهد على ذلك قائمة ؛ فجد الشاعر وأبوه وعمه ضمَّهم التراب .

وشعر امرئ القيس هو الذي فتح الطريق للشعراء فقلدوه في الأغراض التي قال فيها الشعر، وقد سبق غيره إلى ذكر الأطلال والوقوف عليها، وإلى الغزل الرقيق، وذكر طول الليل، وسبق الشعراء إلى وصف الفرس والسحاب. وهو إمام الشعراء في العصر الجاهلي، به يقتدون وعلى نهجه يسيرون.

---

(١) الحارث جده وحجر أبوه .

(٢) الصم : الحجارة الصلبة . الهضاب : الصخور الراسية .

(٣) شبا كل شيء :حده

(٤) الذي قتل بالكلاب هو عمه شرحبيل ، والكلاب :ماء في عالية نجد وقعت بقربه المعركة التي قتل فيها عمه .

وصف الليل والفرس والصيد

من معلقة امرئ القيس

١- ولَيْلٍ كموجِ البحر أرخى سُدُوله ... عليَّ بأنواع الهموم لِيَبْتَلي

٢- فقلتُ له لما تَمَطّى بصُلبه ... وأردَفَ أعجازاً وناءَ بِكَلْكَلِ

٣- ألا أيها الليلُ الطويلُ ألاانْجَلِ ... بصبحٍ وما الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

٤- فيالَكَ من ليلٍ كأن نُجُومَهُ ... بكل مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

٥- كأن الثريا عُلِّقَتْ في مَصَامِهَا ... بأَمْراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

٦- وقد أغْتَدِي والطيرُ في وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابد هَيْكَلِ

٧- مكرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ مَعاً ... كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيْلُ من عَلِ

٨- كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حَالِ مَتْنِه ... كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بالمُتَنَزَّلِ

٩- مِسَحٍّ إذا ما السَّابِحَاتُ على الونَى ... أَثَرْنَ غُبَاراً بالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

١٠- يَزِلُّ الغُلاَمُ الخِفُّ عن صَهَواتِه ... ويُلْوِي بأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ

١١- له أَيْطَلا ظَبيٍ وساقا نعامة ... وإِرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

شرح الأبيات :

(١) سدوله : ستوره .

لقد أحاط بي الليل المظلم وأضفى عليَّ الستور فلا أرى شيئاً ، فكأن قطع ظلمته أمواج البحر الهائلة ، وعندما حجب الرؤية عن عيني أخذت الهموم تنتابني من كل جانب ولكني صبرت لها .

(٢ ، ٣) أعجازه : أواخره . ناء : نهض . كلكل : صدر. أمثل : أفضل.

لقد خاطبت الليل عندما أخذ يمدد جسده ؛ فتارة يعرض ظهره وأخرى يجعل عجزه يتبع أوله، وثالثةً يحاول النهوض والزوال فلا يستطيع ، خاطبته قائلاً : انكشف وزل أيها الليل

الطويل واترك الصبح يظهر فيريحني ، ثم رجعت إلى نفسي فعرفت أن همَّ الليل ليس بأهون من هم الصبح.

(٤) المغار : المحكم الفتل . يذبل : جبل في عالية نجد ويعرف اليوم بصبحا.

إنني أبدي عجبي منك أيها الليل؛ فكأن نجومك ثبتت في أماكنها لا تبرحها وكأنها ربطت بحبال قوية في جبل يذبل.

(٥) مصامها: موضعها. الأمراس : جمع مَرَس وهي الحبال المفتولة. الصم: الصلب. الجندل: الحجارة.

وإذا نظرت إلى الثريا وجدتها ثابتة في مكانها فكأنها قد ربطت بحبال كتان إلى حجارة صلبة.

(٦) أغتدي: أخرج بفرسي في الغداة، عند تباشير الصباح. وكناتها: أعشاشها. المنجرد: الفرس القصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الطويل الضخم.

إنني أعرف وقت الخروج للصيد فأنا أباغته صباحاً قبل أن تغادر الطيور أعشاشها، ووسيلتي لذلك ركوب حصان اكتمل خلقه فهو طويل وضخم .

(٧) الجلمود : الصخر الأصم .

وحصاني معتاد على الكر والفر ، فهو يقبل ويدبر ويراوغ الوحش فإذا رأيته في معركة مع الفريسة ظننته قطعة حجر دحرجها السيل من أعلى إلى أسفل .

(٨) كميت : أحمر يميل إلى السواد . اللبد : ما يوضع من قطع الصوف على ظهره . الصفواء : الصخرة الملساء . المتنزل : المطر .

ذلك الحصان لونه أحمر يميل إلى السواد وهو مكتنز باللحم والشحم، فإذا وضعت شيئاً على ظهره فإنه ينحط عنه كما ينحط المطر من على الصخرة الملساء.

(٩) مسح : كثير الجري . السابحات : التي تسبح في جريها . الونى: الإعياء . الكديد : ما صلب من الأرض . المُركَّل : ماركلته بقوائمها .

إن حصاني يسير سيراً سريعاً عندما تفتر الخيل وتتعب فتضرب الأرض بحوافرها من شدة التعب ، فإذا رأيته مع تلك الخيل فكأنه يسبح في الهواء من سرعة جريه.

(١٠) الخف : الخفيف الجاهل بالركوب . الصهوة : موضع الفارس من ظهر الفرس. العنيف المثقل: الذي لا يحسن الركوب .

إذا حاول الغلام الخفيف ركوب ذلك الجواد زلق عن ظهره وإذا حاول ركوبه الثقيل لوى بثيابه فطرحه وذلك لسرعة عدوه ، وإنما يركبه الفارس المتمرس في ركوب الخيل .

(١١) الأيطل : الخاصرة . إرخاء : سرعة في لين . التقريب : دون العدو . تتفل : ولد الثعلب .

لقد أخذ جوادي الصفات الحميدة من كل حيوان أو طير فخاصرته ضامرة تشبه خاطرة الظبي، وساقاه طويلتان تشبهان ساقي النعامة ، فإن عدا وأسرع أشبه الذئب ، وإن تراخى في عدوه أشبه الثعلب .

النابغة الذبياني

حياته :

اسمه زياد بن معاوية من بني غيظ بن مرة، ومرة من قبائل ذبيان، وذبيان قبيلة مضرية، وقد لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر.

وقد نشأ النابغة في بلاد قومه، وكانت أسرته لها مكانة مرموقة في قبيلة ذبيان.

والنابغة شاعر فحل وقد عُرف بذلك من خلال تقدير الناس له وإعجابهم بشعره، ولذلك فقد طلب جوائز الملوك وذهب إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة وأقام عنده وأخذ يمدحه بقصائده الرائعة، وكان النعمان يعطيه العطايا الجزيلة التي تصل إلى مئة ناقة.

وقد استطاع النابغة أن ينال المنزلة العالية عند النعمان وأن يتقدم على غيره من الشعراء الذين يفدون على ملك الحيرة، وهم كثيرون ومنهم أوس بن حجر التميمى والأعشى ولبيد بن ربيعة العامري وحسان بن ثابت.

وعلى الرغم من منزلة النابغة عند النعمان فقد ترك الشاعر بلاط النعمان وذهب إلى الغساسنة في الشام وأقام عند ملك (جلَّق) عمرو بن الحارث الأصغر ؛ وذلك حتى يصلح الأمور بين عمرو بن الحارث وبين قبيلته (ذبيان) إثر اعتداء القبيلة على حمى الحارث.

وبعد سنوات قضاها في بلاط الغساسنة عاد إلى صاحب نعمته الأولى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، واعتذر له، وكان النعمان قد غضب عليه، وكيف لا يغضب وهو قد ذهب إلى أعدائه (الغساسنة) وسمع بمدائحه فيهم، ومما قال فيهم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفَهم ... بهن فلولٌ من قِراع الكتائب

تُورِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ ... إلى اليوم قد جُرِّبْن كُلَّ التَّجارِبِ

ويوم (حليمة) هو اليوم الذي قَتَل فيه الحارثُ بن أبى شمر الغساني المنذرَ بن ماء السماء والد النعمان بن المنذر، ولكن مهارة النابغة في الاعتذار شفعت له عند النعمان فرضي عنه وقربه،

وقد بقي ملازماً للنعمان حتى قتل سنة٦٠٢م، وبعد قتل النعمان عاد النابغة إلى بلاد قومه وأقام فيها سنتين حيث توفي سنة ٦٠٤م ١٨ق .هـ.

شعره :

شعر النابغة الذبياني في من أجود ماوصل إلينا من الشعر الجاهلي، وقد شهد له عمر بن الخطاب بالجودة فعندما وفدت غطفان على عمر رضي الله عنه قال لهم: يامعشر غطفان، أيُّ شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِكَ ريبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرء مذهبُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم.

وقد عده ابن سلام صاحب (طبقات فحول الشعراء) من الطبقة الأولى، بل جعله بعد امرئ القيس مباشرة، وإذا نظرنا في شعر النابغة وجدناه شعراً قد أتقن صنعه، فهو يستحق المنزلة التي وضع فيها، فهذا الشعر يجمع بين رقة الحضارة وقوة البداوة. وصاحبه يتعهده بالإتقان؛ لأن معظمه لايقال إلا في ملك، ولا يلقى إلا في حضرة عدد كبير من الشعراء والنقاد.

وقد قال النابغة الشعر في أغراض مختلفة منها: المدح والاعتذار والرثاء والوصف والحكمة.

المدح:

يعتبر مدح النابغة من أجود شعر المدح في العصر الجاهلي، وذلك لأنه ينتقي معاني المدح بحيث ترضي الممدوح وكأنها جديدة لم يسمع بها من قبل، وهو في مدحه يستعمل التشبيه كما في قوله مخاطباً النعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سُورَةً ... ترى كل مَلْكٍ دونها يَتَذَبذَبُ[1]

بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

وقد سبق النابغة الشعراء الجاهليين إلى بعض معاني المدح مثل مدحه الغساسنة بالنعيم في قوله:

رقاق النعال طيبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيَّون بالرَّيحانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ[2]

---

(١) السورة: المنزلة الرفيعة.

(٢) السباسب: عيد.

تحـــيـــــهُمُ بيض الولائدِ بينهُمْ وأكـسِيَـةُ الإضْـرِيجِ فـوق المشـاجِبِ[1]

يصـونون أجْـسـاداً قـديماً نَعـيـمُـهـا بخـالِصَـةِ الأرْدانِ خُـضْـرِ المَنَاكِبِ

الاعتـذار:

يعتبر النابغة رائد هذا الفن من فنون الشعر الجاهلي فمنهجه في الاعتذار هو المنهج الذي سار عليه شعراء الجاهلية. ولكن لم يستطع الشعراء الآخرون أن يجيدوا القول في الاعتذار كما أجاد النابغة، فهو يعمد إلى التعليل، وتفتيق المعاني، والمناقشة، وإدخال المدح في قصيدة الاعتذار، وإيراد بعض الأبيات المشتملة على الحكمة؛ فإذا قرأنا قصائد النابغة الاعتذارية وجدنا هذه الصفات تتوافر فيها؛ فقصيدته التي مطلعها:

أتاني أَبَيْتَ اللعْنَ - أَنّك لُمْـــتَنَي وتلـك التـي أَهْتَمُّ منهـــا وأَنْصَبُ

بدأها بالهم الذي أحاط به، ثم حلف بالله بأنه غير مذنب وذلك في قوله:

حلفتُ فلم أتركْ لنفـسِكَ ريبـةً وليس وراءَ اللهِ للمـرء مـذهبُ

ثم ناقش المخاطب فيما بلغه عنه وذلك في قوله:

لإِنْ كنتَ قـد بُلِّغْتَ عني خـيـانة لَمُـبْلغُكَ الواشي أغشُّ وأكـذَبُ

ولم يهمل النابغة طلب العفو بل قال:

فـلا تتـركَنِّي بالوعـيـد كـأنني إلى النـاس مَطْلـيٌّ بـه القـارُ أجْـرَبُ

وفي آخر القصيدة أشار إلى أن الإنسان لا يخلو من العيوب، وذلك في قوله.

ولستَ بِمُـسْـتَـبْقٍ أخـاً لا تَلُمُّـهُ على شَـعَثٍ؛ أيُّ الرجـالِ المُهـذَّبُ

وللنابغة قصائد أخرى في الاعتذار لا تقل جودة عن هذه القصيدة

---

(١) الإضريج: الخز الأحمر.

الوصف :

برع النابغة في وصف الليل، وفي تصوير الطيور التي تتابع جيش الغساسنة، وفي تصوير الكلاب عندما ترسل للصيد .

وبراعة النابغة تظهر في جلب انتباه القارئ ومتابعته للصورة التي يعرضها الشاعر؛ فوصف طول الليل يفضله بعض النقاد على وصف طول الليل عند امرئ القيس. والأبيات التي تصف طول الليل هي :

كِلِيني لهمٍّ يا أُمَيْمةُ نَاصِبِ ... وليلٍ أقاسيه بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

تَطاوَل حَتى قُلْتُ ليس بمُنْقَضٍ ... وليس الذي يرعي النجومَ بآيبِ[1]

وصدر أراح اللَّيْلُ عازِبَ هَمِّه ... تَضَاعف فيه الحزنُ من كُلِّ جَانِبِ

أما الأبيات التي تصور الطيور وهي تتابع جيش الغساسنة فهي :

إذا ما غزوا بالجيش حلَّقَ فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ[2]

يُصَاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مُغَارَهُمْ ... من الضَّارياتِ بالدِّماءِ الدوارب[3]

تراهُنَّ خلفَ القومِ خُزْراً عيونُها ... جُلُوسَ الشُّيُوخِ في ثِيَابِ المَرَانِبِ[4]

الحكمة :

شعر النابغة ينبع من تجربة، وتشمله الحكمة، ولكننا لا نجد قصائد تختص بالحكمة أو أبياتاً متتابعة يقولها الشاعر في الحكمة، وإنما نجد أبيات الحكمة مبثوثة هنا وهناك في قصائده الكثيرة من مثل قوله :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبِ

ولو لم يكن النابغة حكيماً لما استطاع الرجوع إلى النعمان بعد تهديده إياه، ولما جلس للناس في سوق عكاظ يبين لهم الشعر الجيد من الشعر الرديء دون أن يُغْضِبَ أحَداً .

---

(١) الذي يرعي النجوم : الصبح.

(٢) عصائب : مجموعات.

(٣) الدوارب : المتعودات.

(٤) المرانب : ثياب سود. وخزراً عيونها: تنظر بمآخير أعينها.

من قصيدة النابغة

(كليني لِهَمٍّ)

١- كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصبِ ... وليلٍ أقاسيهِ بَطِيء الكواكبِ

٢- تطاولَ حتى قلتُ: ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

٣- وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّه ... تضاعف فيه الحزنُ من كل جانبِ

٤- عليَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ ... لوالده ليست بذات عَقَارِبِ

٥- وَثِقْتُ له بالنَّصْرِ إذ قيل قد غَزَتْ ... كَتَائِبُ من غَسَّانَ غيرُ أشَائبِ

٦- بنو عمه دنْيَاوعمرُو بنُ عامرٍ ... أولئك قومٌ بأسهُم غيرُ كَاذبِ

٧- إذَا ما غزوا في الجيش حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ... عصائبُ طَيْرٍ تهتدي بعَصَائبِ

٨- يُصَاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مُغَارَهُمْ ... من الضَّارِيَات بالدِّمَاءِ الدَّوارِبِ

٩- لهنَّ عليهم عادةٌ قد عَرَفْنَهَا ... إذَا عُرِّضَ الخَطِّيُّ فَوْقَ الكَوَاثبِ

١٠-على عارفاتٍ للطعانِ عَوَابِسٍ ... بِهِنَّ كُلُومٌ بين دَامٍ وجَالِبِ

١١-إذَا اسْتُنْزِلُوا عَنْهُنَّ للطَّعْنِ أرقَلُوا ... إلى المَوْتِ إرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

١٢-ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أنَّ سُيوفَهمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائبِ

١٣- تُوُرِّثْنَ من أزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ ... إلى اليَوْمِ قد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

١٤-تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نار الحُبَاحِبِ

١٥-لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطهَا الله غَيْرَهُمْ ... من الجودِ، والأحلامُ غيرُ عَوَازبِ

١٦-رِقَاقُ النعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهمْ ... يُحَيَّونَ بالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسبِ

١٧-يَصُونُونَ أجْسَاداً قَدِيماً نَعِيمُهَا ... بخالصَةِ الأرْدَانِ خُضْرِ المَنَاكبِ

١٨- ولا يحْسَبُونَ الخَيْرَ لا شرَّ بَعْدَهُ ... ولا يحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازبِ

١٩-حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إذْ كنتُ لا حِقاً ... بِقَوْمِي وَإذْ أعْيَتْ عَليَّ مَذَاهِبِي

مناسبة القصيدة :

كان النابغة الذبياني من شعراء المناذرة حكام الحيرة بل إنه من الشعراء المقدمين عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة بدليل أن النعمان كافأه على بعض قصائده بمئة ناقة، فأخذ الشعراء الآخرون وغيرهم من جلساء الملك يحسدونه على مكانته ويسعون بالوشاية عند الملك، وفي هذه الأثناء حدثت حرب بين الغساسنة ملوك الشام وقبيلة ذبيان التي ينتسب لها الشاعر، وقد انهزمت ذبيان وقتل منها رجال وأسر آخرون وسبيت النساء فرأى النابغة أن مدح الغساسنة في تلك الظروف التي تحيط بقبيلته أمر مهم، فانتقل إليهم وأقام عندهم وقال فيهم قصائد منها قصيدته التي بين أيدينا.

شرح الأبيات :

(١) كليني : دعيني . أميمة : ابنته . ناصب : متعب . بطيء الكواكب : نجومه تسير سيراً بطيئاً .

المعنى : دعيني يابنتي لهمومي المتعبة واتركيني أقاسي هذا الليل الطويل الذي لا تسير نجومه إلى المغيب وإنما هي تتثاقل في اتجاهها إلى مغاربها .

(٢) الذي يرعى النجوم : الصباح . آيب : راجع .

المعنى : لقد زاد طول ليلي حتى ظننت أن ليس له نهاية وأبطأ الصباح في الظهور حتى ظننت أنه لن يرجع إلى عادته في تبديد الظلام .

(٣) العازب : الذي يبيت بعيداً عن أهله .

المعنى : لقد رد هذا الليل على صدري الهموم التي نسيتها في النهار فتجمعت في صدري فتضاعف الحزن والألم والأسى بين ضلوعي ؛ لأن الليل يجمع الهموم والنهار يفرقها .

(٤) ذات عقارب : ذات أذى .

المعنى : لقد منَّ عليَّ عمرو بخيرات كثيرة وأعطاني والده مثلها وهي خيرات لا يخالطها أذى ولا تتبعها منة .

(٥) أشائب : أخلاط .

المعنى : لقد تيقنت من انتصار الملك على أعدائه ؛ لأن جيشه يشتمل على أبناء الغساسنة دون غيرهم ؛ فذلك الجيش لا يجمع أخلاطاً من القبائل وإنما هو مقتصر على غسان .

(٦) تلك الكتائب التي يتألف منها الجيش إنما هي مؤلفة من بني عم الملك الأقربين الذين هم آل جفنة ومن أبناء جده الأعلى المعروف بعمرو ابن عامر.

(٧) عصائب: جمع عصابة وهي الجماعة.

المعنى: إذا سار جيش الغساسنة للغزو فإنه يطير فوقه مجموعات من الطيور الكاسرة فإذا رأتها الطيور الأخرى تبعتها فهي تنتظر القتلى من أعدائهم

(٨) الضاريات: المتعودات، الدوارب: المدربة.

المعنى: إن تلك الطيور الجارحة تصاحب جيش الغساسنة، فإذا أغار الجيش على الأعداء ومزق أجسادهم فإن تلك الطيور تنقض على الأجساد المطروحة على الأرض.

(٩) الخطي: الرماح المنسوبة إلى بلدة الخط (القطيف) في شرقي المملكة العربية السعودية. الكواثب: جمع كاثبة وهي ملتقى الرقبة بالكتف.

المعنى: لقد اعتادت تلك الطيور على مرافقة ذلك الجيش، فعندما ترى الرماح قد عرضت على كواثب الخيول فإنها تعرف مقصد ذلك الجيش.

(١٠) عوابس: أصل العبوس تقطيب ما بين العينين. كلوم: جروح. الجالب: اليابس.

المعنى: إن ذلك الجيش قد أخذ عدته، ففرسانه يمتطون الخيول الصابرة المتعودة على الحرب، فالحرب ليست جديدة عليها بدليل أن الجروح جديدها وقديمها تتخلل أجسام تلك الخيول.

(١١) أرقلوا: عدوا وأسرعوا. المصاعب: جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يذلل.

المعنى: إن أولئك الفرسان ينزلون عن خيولهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فهم يسرعون إلى طعن أعدائهم كما تعدو الجمال المطلقة من القيود.

(١٢) فلول: ثلوم.

المعنى: إذا أردت أن أبحث عن عيب في الغساسنة فإنني لن أجده، فعيبهم الوحيد هو تثلم سيوفهم بسبب كثرة المعارك التي يخوضونها، وذلك ليس عيباً وإنما هو شرف لهم.

(١٣) حليمة: هي حليمة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني.

المعنى: إن تلك السيوف مجربة منذ القديم فهي متوارثة من جيل إلى جيل، وقد حارب بها الأبطال الذين انتصروا على المناذرة في ذلك اليوم المعروف بيوم حليمة.

(١٤) تقد: تشق. السلوقي: الدرع المنسوب إلى سلوق قرية باليمن.

الصفاح: الحجارة ويقصد بها خوذات الجنود. الحباحب: ذباب يطير في الليل فيشع منه النور.

المعنى: إن تلك السيوف تشق الدروع السلوقية المتقنة الصنع، وتري من يشهد المعركة النار تقدح والشرر يتطاير عندما تضرب خوذ الخصوم.

(١٥) شيمة: طبيعة وخلق. الأحلام: العقول. عوازب: غائبة.

المعنى: إن أخلاق الغساسنة فاضلة وعقولهم حاضرة عند الملمات والنوازل وهذه الصفات لا تتوافر في غيرهم من الناس.

(١٦) حجزاتهم: الحجزة معقد الإزار. الريحان: نبت طيب الرائحة.

السباسب: عيد من أعيادهم.

المعنى: إن أولئك القوم ينتعلون النعال الرقيقة فهم لا يمشون كثيراً، وهم أصحاب عفة يصونون أنفسهم عن المحرمات، وفي يوم عيدهم يلاقون بالرياحين العطرة.

(١٧) الأردان: الأكمام. المناكب: جمع منكب وهو الكتف.

المعنى: والغساسنة يحفظون أجسامهم بما يلبسون من الثياب الفاخرة، تلك الثياب التي تتصف ببياض الأكمام واخضرار الكتفين.

(١٨) اللازب: اللازم.

المعنى: عندما يصيب الغساسنة خيراً فإنهم لا يغترون، وعندما يصيبهم شر فإنهم لا يجزعون منه فهم ينتظرون زواله.

(١٩) حبوت: أعطيت وأهديت. أعيت عليَّ مذاهبي: ضاقت وسدت.

المعنى: إنني أقدم هذه القصدة هدية للغساسنة؛ لأنني أراهم أحق الناس بمدحي في هذه الظروف التي أجبرتني على اللحاق بقومي حين انسدت عليَّ الطرق.

مناقشة

١- كان لموت والد امرئ القيس أثر في حياته وفي شعره، وضح هذا الأثر.

٢- ما الأغراض التي تناولها امرؤ القيس في شعره؟

٣- قيل « أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب ». اشرح هذا القول.

٤- الاعتذار غرض برز فيه النابغة الذبياني. فمِنْ مَنْ كان يعتذر؟ وما سبب ذلك الاعتذار؟

زهير بن أبي سُلمى

حياته :

ولد زهير ونشأ في (الحاجر[1]) حيث تقيم أسرته بجوار بني مرة من ذبيان، وأسرته من مزينة وليست من غطفان، فوالده أبو سُلْمَى هو ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث من مزينة، ثم من مضر، وقد توفي ربيعة والد زهير فكفل زهيراً خاله بشامة بن الغدير، وكان ثرياً فنشأ زهير في بيت ثراء وغنى، وعندما توفي خاله ترك مالاً كثيراً فكان لزهير نصيب من ذلك المال.

وقد أقام زهير في بلاد الحاجر ولم يبرحها إلى غيرها، فلم يفد على الملوك كما كان يصنع النابغة أو الأعشى، ومع ذلك فإنه عاش عيشة تتسم بالرخاء، وكان له صلة بسيدي بني مرة وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف فكان يمدحهما فيعطيانه، وقد جمع مالاً وفيراً، وله صلة بحصن بن حذيفة الفزاري. وهذه العلاقات مع زعماء ذبيان جعلت لزهير مكانة مرموقة في البلاد التي عاش فيها، وقد توفي زهير سنة ١٣ق هـ.

شعره :

أخذ زهير بن أبي سلمى الشعر عن خاله بشامة بن الغدير وعن أوس بن حجر زوج أمه وطفيل الغنوي، ولذلك فقد اجتمع في شعره الطبع والصنعة؛ أما الطبع فيدل عليه وجود شعراء في أسرة الشاعر، فوالده ربيعة شاعر وخاله بشامة بن الغدير شاعر وأخته الخنساء شاعرة[2] وأخته سلمى شاعرة وابنه كعب شاعر وابنه بجير شاعر ، وأما الصنعة فإنه عَلِمَ كيف يصنع الشعر، وقد استفاد من ذلك فجاء شعره جامعاً بين الصنعة والطبع. وقد عُدَّ زهير من عبيد العشر فهو يصنع القصيدة ثم يبقيها عنده سنة يبدىء ويعيد فيها حتى تكتمل فيذيعها في الناس بعد ذلك؛ ولذلك عرفت قصائده بالحوليات ، والمنقحات والمحكمات ، وقد قال عمر بن الخطاب في زهير : « زهير لايتبع حوشي[3] الكلام ولا يعاظل في المنطق ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما فيه »

وقدقال زهير الشعر في أغراض كثيرة منها : المدح والغزل والوصف والحكمة.

---

(١) الحاجر يقع بالقرب من عقلة الصقور من الناحية الشمالية الغربية.

(٢) الخنساء أخت زهير ليست هي الخنساء الشاعرة المشهورة أخت صخر.

(٣) حوشي الكلام : غريبه . يعاظل : يدخل بعضه في بعض فلا يعرف. قول عمر رضي الله عنه في الشعر والشعراء ١/١٣٧

المدح :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير : « كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه » ومعنى ذلك أن مدح زهير بعيد عن الإسراف والمبالغة، فقد مدح رجلين حَقَنَا الدماء وتحملا أموالاً كثيرة، قبل إنها ثلاثة آلاف بعير، والرجلان هما هرم ابن سنان المُرِّي الذيباني والحارث بن عوف المري الذيباني ، وفي الواقع أن هذين الرجلين يستحقان المدح فإذا عرفنا أن حرب داحس والغبراء قد شردت بني عبس فانتقلوا من بلادهم وأخذوا يجاورون القبائل الأخرى وأنهكت تلك الحرب ذبيان فقتل فيها حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل ، وإذا علمنا ذلك تبين لنا أن من سعى في إيقاف تلك الحرب يستحق المدح، ومما قال زهير فيهما :

سعى ساعيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعد ما ... تَبَزَّلَ ما بين العشيرةِ بالدَّمِ[1]

فأقسمت بالبيت الذي طاف حولَه ... رجالٌ بَنَوْهُ من قريشٍ وجُرْهُمِ

يميناً لنعم السيدان وُجدتما ... على كُلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرِمِ[2]

تداركتما عبساً وذبيانَ بعد ما ... تفانوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ[3]

وقد قلتما إن نُدرِكِ السلمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ من الأمرِ نَسْلَمِ

فأصبحتما منها على خيرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فيها من عُقوقٍ ومأثمِ

عظيمين في علْيَا مَعَدٍّ هُديتُمَا ... ومن يستبحْ كنزاً من المجدِ يعظُمِ

---

(١) الساعيان هما هرم بن سنان والحارث بن عوف وهما من ولد غيظ بن مرة. تبزل : تشقق .

(٢) السحيل : الذي لم يحكم فتله ، والمبرم الذي أحكم فتله .

(٣) منشم : عطار يبيع الكافور للموتى فإذا خرج المتحاربون اشتروا منه كافوراً لموتاهم.

الحكمة :

زهير بن أبي سلمى هو حكيم الشعراء فإذا قرأنا معلقته وجدنا آخرها حكماً متتالية ، وهذا يدل على قدرته البارعة في استخلاص الحكمة من تجارب العرب وتراثهم . ومن الحكم الواردة في المعلقة قوله :

وأعلم مـــا في اليَـــوْمِ والأمْسِ قَـــبْلَهُ ولكنني عن علم مـــا في غَـــدٍ عَمِ

وقوله :

ومن هاب أســـبـــابَ المنايَا يَنَلْنَهُ ولو رَامَ أسـبـاب السـمـاء بِسُلَّمِ

وقوله :

لسـانُ الفـتى نصفٌ ونصْفٌ فُـؤادُهُ فلم يَبْقَ إلا صـورةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

ولزهير حكم في غير المعلقة من ذلك قوله :

تَزَوَّدْ إلى يومِ المَمَـاتِ فـإنَّهُ ولو كَـرِهَتْـهُ النّفْسُ آخِـرُ مَـوْعِـدِ

وقوله :

فـإنَّ الحَقَّ مَـقْـطَـعُـهُ ثَلاثٌ يمينٌ أو نِـفَـارٌ أو جِـلاءُ[1]

وشعر زهير يعطينا صورة واضحة لما وصل إليه الشعر الجاهلي من الإتقان والجودة ، فأسلوبه محكم النسج ، ومعانيه مستخلصة من ثمار تجارب العرب ، فهو بحق خاتمة مشرفة للشعر الجاهلي .

---

(١) النفار : المنافرة إلى شيوخ القبائل للحكم . الجلاء : انكشاف الأمر . والبيت في ديوان زهير ص ٦٦ .

أبيات من معلقة زهير بن أبى سلمى في الحكمة

١ – سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانينَ حولاً لا أَبَالَكَ يَسْأَمِ

٢ – وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِ

٣ – رأيت سِفَاه الشيْخِ لا حلمَ بعده وإنَّ الفتى بعد السفاهة يَحْلُمِ

٤ – ومن لا يصانِعْ في أمورٍ كثيرة يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطأْ بِمَنْسِمِ

٥ – ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِه على قومه يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ

٦ – ومن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحِه يُهَدَّمْ ومن لا يظلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

٧ – ومن هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ولو رامَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ

٨ – ومن يَعْصِ أطراف الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ يطيعُ العوالي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

٩ – ومن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُفْضِ قَلْبُهُ إلى مُطْمَئِنٍّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

١٠ –ومن يَجْعَلِ المَعرُوفَ من دونِ عِرْضِه يَفِرْهُ ومن لا يَتقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

١١ –ومن يجعل المعروفَ في غيرِ أهْلِه يَعُدْ حمدُهُ ذمّاً عليه ويَنْدَمِ

١٢ –ومن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عدوّاً صديقَهُ ومن لم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لم يُكَرَّمِ

١٣ –ومن لا يَزَلْ يَسْتَرْحِلِ النّاسَ نَفْسَهُ ولا يُعْفِهَا يوماً من الذُّلِّ يَسْأَمِ

١٤ –ومهما تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

المناسبة :

كان زهير بن أبي سلمى المزني نازلاً في بني مرة من ذبيان، وقد نشبت حرب ضروس بين ذبيان وعبس عرفت بحرب داحس والغبراء اصطلى زهير بنارها هو وغيره من بني ذبيان وقد استمرت تلك الحرب عشرات من السنين، وقد مالت عبس في نهاية تلك الحرب إلى السلم ووافق ذلك رغبة من بني مرة الذبيانيين، فسعى رجلان فاضلان في الصلح بين عبس وذبيان، والرجلان هما هرم بن سنان

والحارث بن عوف، فجمعا الديات التي بلغت ثلاثة آلاف بعير، فأعجب زهير بهذين الرجلين ومدحهما بقصيدة طويلة هي معلقته، وقد ختمها بهذه الحكم التي أوردناها والتي يحث معظمها على الصلح.

شرح الأبيات :

(١) سئمت : مللت . تكاليف : جمع تكلفة وهي المشقة .

لقد مللت مشقة الحياة وتعبها ، ومن عاش مثلي ثمانين سنة لا بد أنه سيسأم البقاء في هذه الدنيا.

(٢) إن علمي مربوط بما رأيته في الماضي وما أراه في وقتي الحاضر ، وأما المستقبل فإنه محجوب عني فكأني بالنسبة له الأعمى الذي لا يبصر ما أمامه .

(٣) عندما يصاحب السفه شاباً فإنه يمكن تقويمه ، وأما الشيخ عندما يصاحبه السفه فمن الصعب تقويمه وتعديله .

(٤) يضرس :يعضض . المنسم : طرف خف البعير .

لابد من مداراة الناس في كثير من الأمور ، ومن لم يفعل ذلك فسوف يصله الأذى والشر وربما ناله البطش.

(٥) من أعطاه الله الغنى والمال فبخل به ولم ينفقه في وجوهه بل حفظه ولم يعط القريب فإن ذلك القريب سيستغني، وسيصل الذم ذلك المانع لماله.

(٦) من تجرأ الناس على حقوقه فنالوا منها، ولم يستطع منعهم فإنهم سيستبيحون ما بقي منها لأن الناس لا تردعهم إلا القوة وقوله « ومن لا يظلم الناس يظلم » نظرة جاهلية.

(٧) أسباب : نواحي.

إن من خاف من الموت لن ينفعه ذلك، ولو حاول الهروب إلى السماء، لأن الموت سيلاقيه لا محالة.

(٨) الزجاج: جمع زُجّ وهو أسفل الرمح العوالي: جمع عالية وهي أعلى الرمح التي يكون فيها السنان. اللهذم: الحاد.

إن من عارض الصلح سيصطلي بنار الحرب، وسوف تناله السنان الحادة التي تمزق جسده.

(٩) يفض: يصبر وي ويطمئن. لا يتجمجم: لا يتردد في الصلح.

إن من أوفى بما وعد به لن يصل إليه الذم ومن اطمأن قلبه إلى طريق البر والخير فإنه لن يتردد في تنفيذ الصلح ونبذ الحرب.

(١٠) يفره: لا ينقصه.

إن من أراد أن يكون عرضه مصوناً فعليه ببذل المعروف، أما من يعرض نفسه للسباب فإن الذم سيصله.

(١١) والباذل للمعروف يجب عليه أن يضعه في من يستحقه لأن بذل المعروف في غير أهله لا يعقبه إلا الذم وندامة باذله.

(١٢) إن الغريب قد يغتر بالناس فيظن أعداءه أصدقاء له، وإن من أذل نفسه فقد أتاح لغيره أن يذله ويستصغر شأنه.

(١٣) إن من جعل نفسه عالة على الناس لا يتعفف ولا يترفع وإنما يرمي بنفسه في مواضع الإهانة، ومن كانت هذه صفته فإن الناس سيملونه.

(١٤) خليقة: طبيعة.

إن طبيعة الإنسان وسجيته التي جبل عليها لابد أن تظهر للناس مهما حاول صاحبها إخفاءها.

مناقشة

١- اشتهر زهير بن أبي سلمى بالحوليات. فما المقصود بهذه التسمية؟

٢- من أشهر ممدوحي زهير وما مناسبة مدحه لهم؟

٣- « زهير حكيم الشعراء » اشرح هذا القول.

النثر الجاهلي

النثر هو كلام اختيرت ألفاظه، وانتقيت تراكيبه، وأحسنت صياغة عباراته، بحيث يؤثر في المستمع عن طريق جودة صنعته. فهو يختلف عن الكلام العادي الذي يتكلم به الناس في شؤونهم العادية.

وأنواع النثر الجاهلي هي : الخطابة والأمثال والحكم والقصص وسجع الكهان. والخطابة من أبرز أنواع النثر في العصر الجاهلي، وتتلوها من ناحية الأهمية: الأمثال؛ لانتشارها بين عامة الناس وخاصتهم ولهذا سيكون الحديث التالي عن هذين النوعين من النثر.

الخطابة

الخطابة كلام جيد المعاني متين الأسلوب مؤثر في من يستمع إليه، يخاطب به جمهور من الناس، بهدف استمالته إلى رأي معين، أو إقناعه بفكرة، أو إرشاده إلى طريق يسير فيه، أو منعه من الانحراف في ضلالة. والخطبة شائعة بين الناس في العصر الجاهلي؛ لأنهم يحتاجون إليها في حياتهم العامة وأكثر ما تقال في أماكن اجتماعاتهم مثل الأسواق أو اجتماعهم لحرب.

دواعيها :

دواعي الخطابة في العصر الجاهلي كثيرة ومتنوعة، ومنها:

١- حث المقاتلين على القتال في الحرب. كما فعل هانئ بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار.

٢- تهنئة الملوك. كما فعل عبد المطلب بن هاشم في تهنئة سيف بن ذي يزن عندما طرد الأحباش من اليمن.

٣- التفاخر بين أحياء العرب.

٤- الدعوة إلى السلم عندما تمل الحرب.

٥- التعزية والنصح والإرشاد.

أسلوبها :أسلوب الخطبة في الجاهلية يغلب عليه السجع، فالخطبة تتكون من جمل قصيرة مسجوعة متوازنة وهذا مانجده في خطبة قس ابن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ وفي خطبة عبدالمطلب بن هاشم أمام سيف ابن ذي يزن، وفي خطبة هانىء بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار. وقد تنهج الخطبة أسلوباً مرسلاً لايقيده السجع ولا التوازن ولا الجمل القصيرة.

صفات الخطيب :لا يتصدى للخطابة إلا من ملك زمام الفصاحة وكان ثابت الجنان، حاضر البديهة، ويمدح الخطيب بجهارة الصوت، ووضوح الكلام، وعدم التلفت، ويعاب بالتنحنح والارتعاش، والحصر والعي[1] والتعثر في الكلام، وكثرة مسه للحيته وشاربه. ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً أو يخطب وهو على راحلته، وإذا خطب واقفاً اختار مرتفعاً من الأرض واتكأ على عصا، ومن عادة الخطيب أن يضع العمامة على رأسه.

والخطيب له مكانة ومنزلة أعلى من منزلة الشاعر؛ ذلك أن الشاعر قد يتكسب بشعره كما يفعل النابغة والمتلمس وطرفة والأعشى، وأما الخطيب لا يتكسب بخطبته كما يفعل الشاعر.

ومن خطباء الجاهلية هاشم بن عبدمناف، وابنه عبدالمطلب، وزهير ابن جناب، وقيس بن خارجة بن سنان، وأكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة، وهانئ بن مسعود الشيباني، وحاجب بن زرارة، والحارث بن عبّاد البكري.

---

(١) الحصر والعي: عدم القدرة على الكلام أو التوقف عنه وعدم الإبانة فيه.

نماذج من الخطابة

١ - خطبة عبدالمطلب بن هاشم أمام سيف بن ذي يزن بمناسبة طرد الأحباش من اليمن:

«إن الله تعالى أيها الملك أَحَلَّكَ مَحَلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً[١]. وأنبتك منبتاً طابت أُرُومَتُه وعزت جُرْثُومَتُه[٢]، وَنَبُلَ أصله وبَسَق فرعه[٣]، في أكرم معدن[٤]، وأطيب موطن، فأنت - أبيت اللعن[٥] - رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته، وسدنة[٦] بيته، أشخصنا إليك الذي أنهجك لكشف الكرب الذي فدحنا[٧]، فنحن وفد التهنئة لا وفود المرْزِئة[٨].

٢ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي[٩] في سوق عكاظ:

«أيها الناس اسمعوا وعوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج[١٠]،

---

(١) باذخ وشامخ: عال.

(٢) الأرومة والجرثومة: الأصل.

(٣) بسق: طال وعلا.

(٤) المعدن: المكان الطيب.

(٥) أبيت اللعن: أبيت أن تأتي ما يستدعي لعنك فأنت شريف.

(٦) سدنة بيته: خدام بيته.

(٧) فدحنا: الفادحة: النازلة، وفدحنا: كان ثقيلاً علينا.

(٨) المرزئة: المصيبة وقد تكون المصيبة في المال. والخطبة في العقد الفريد ٢ / ٢٤.

(٩) هو قس بن ساعدة بن عمرو من بني إياد من حكماء العرب وخطبائهم، توفي سنة ٢٣ ق هـ.

(١٠) داج: مظلم.

ونهار ساج[1]، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مُدْحاة، وأنهار مجراة. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعِبَراً، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمُقَام فأقاموا، أم تُركوا فناموا؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً. ثم أنشأ يقول:

في الذَّاهِبينَ الأولِينَ من القرون لنا بصائرْ
لَمَّا رأيتُ مَوَارِداً للموت ليس لها مصَادِرْ
ورأيت قومي نَحْوَهَا يمضي الأكَابِرُ والأصَاغِرْ
لا يرجعُ الماضِي إليَّ ولا من الباقينَ غَابِرْ[2]
أيقنتُ أني لا محَالَةَ حيثُ صارَ القومُ صَائِرْ

٣ - خطبة أكثم بن صيفي[3] أمام كسرى:

« إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها. الصدق مَنْجاة، والكذب مَهْواة، والشر لجَاجَة[4]، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء[5]. آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر. إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانتة كان كالغاص بالماء. شر البلاد بلاد لا أمير بها، وشر الملوك من خافة البريء، أفضل الأولاد البررة، وخير الأعوان من لم يراء بالنصيحة. أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته، يكفيك من الزاد مابلغك المحل، حسبك من شر سماعه، الصمت حُكْم[6] وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفَّر ومن تراخى تألف.

---

(١) ساج: ساكن دائم.

(٢) الغابر: الباقي.

(٣) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ورحل قاصداً الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي في الطريق سنة ٩ هـ يعتبر من المعمرين.

(٤) اللجاجة: تمادي الخصمين في الكلام.

(٥) وطيء: لين سهل.

(٦) الحكم: الحكمة.

الأمثال

الأمثال أقوال سائرة بين الناس تُشَبَّهُ فيها أحوال منظورة مشاهدة بأحوال سابقة لها، والذي يجمع بين الحال السالفة والحال القائمة هو المماثلة بينهما أي المشابهة.

ويهدف المثل إلى التعليم أو التنبيه أو التذكير، فالصغير والجاهل يتعلم بواسطة الأمثال، والكبير ينتبه إذا سمع المثل فيسترشد به، والغافل يتذكر ما مضى من حوادث التاريخ، والذي يسهل التعليم بواسطة الأمثال أن الأمثال تُحْفَظ بسهولة.

والأمثال تصور تجارب العرب في حياتهم الاجتماعية والسياسية والعقلية، فهي حصيلة تاريخ طويل بجميع فروعه وتشعباته. كما أنها تصورالبيئة الجاهلية لأنها تُنقل بلفظ لايتغير، ولذلك فهي لون أدبي يتميز بالبقاء على صورته التي قيل فيها.

وتعد الأمثال مرآة لحياة الأمة بجميع طبقاتها، فهي لاتمثل عقلية طبقة معينة، وإنما تمثل عقليات الأمة جميعها لأنها تصدر من أي إنسان، بخلاف الحكمة فإنها لاتصدر إلا عن مفكر أو حكيم، وتكون وليدة التفكر وثمرة التجربة، وتهدف إلى النصح والإرشاد والحث على التحلي بمكارم الأخلاق.

ويغلب على الأمثال التوازن والسجع وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وهي تكون في النثر وتكون في الشعر ولكنها في النثر أكثر.

والأمثال مبثوثة في كتب الأدب ودواوين الشعراء وكتب التاريخ؛ فإذا قرأنا في كتاب البيان والتبيين للجاحظ وجدناه يشتمل على كثير من الأمثال، وكذلك كتاب الكامل للمبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني.

ومن أشهر كتب الأمثال المطبوعة والمتداولة: (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، و(مجمع الأمثال) للميداني، وهو يشتمل على اثني عشر ألف مثل منها أمثال قيلت في العصر الجاهلي وأمثال قيلت في العصر الإسلامي.

ومن أمثال العرب في الجاهلية:

١ - اسْتَنْوَقَ الجملُ.

(يضرب مثلاً للرجل الواهن الرأي المخلط في كلامه).

٢ - أنْ تردَ الماءَ بماءٍ أَكْيَسْ.

(يضرب مثلاً للأخذ بالثقة والاحتياط).

٣ – أيُّ الرجالِ المهذب!

(يضرب مثلاً للرجل يعرف بالإصابة في الأمور ثم تكون منه السقطة) .

٤ – لايطاع لقصيرٍ أمر.

(يضرب مثلاً للرجل الحامل يقول الرأي الحكيم ولايقبل منه)

٥ – تسمع بالمُعيدي لا أن تراه.

(يضرب مثلاً لمن يكون أمره مشهوراً ولكن هيئته لاتدل على ذلك) .

٦ – تحت الرّغوة الصريحُ[١]

(يضرب مثلاً للأمر تظهر حقيقته بعد خفائها) .

٧ – خَلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري.

(يضرب لمن يُخلّى بينه وبين حاجته) .

٨ – رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْهُ أمُّك.

(يضرب مثلاً لإعانة الرجل صاحبه وانخراطه في سلكه حتى كأنه أخوه لأبيه وأمه) .

٩– الصيفَ ضيَّعتِ اللبن.

(يضرب مثلاً لمن يضيع الأمر ثم يريد استدراكه بعد فوات الأوان) .

١٠– القولُ ما قالتْ حذامِ.

(يضرب مثلاً في تصديق الرجل صاحبه، وصواب رأيه) .

١١– ويلٌ للشَّجِيِّ من الخَلِيِّ[٢] .

(يضرب لسوء مشاركة الرجل لصاحبه)

١٢– ماكلُّ سوادَ تمرة ولا كل بيضاءَ شحمة.

(يضرب في موضع التهمة وعدم وضوح الأمر)

ومن الأمثال ما ينسب لأشخاص مثل : أسخى من حاتم ، أشجع من ربيعة بن مكدم ، أدهى من قيس بن زهير، أعز من كليب وائل، مواعيد عرقوب، صحيفة المتلمس.

---

(١) الصريح: اللبن الصافي الخالص من الشوائب.

(٢) الشجيّ: المشغول أو الحزين المهموم. والخليّ: الفارغ.

مناقشة

١- عرف الخطابة، واذكر دواعيها في العصر الجاهلي.

٢- اذكر أشهر خطباء العرب في الجاهلية.

٣- مالصفات التي ينبغي أن تتوافر في الخطيب؟

٤- ما أهم خصائص الخطبة في العصر الجاهلي؟

٥- عرف الأمثال، وإلام تهدف؟

٦- اذكر ستة من أمثال العرب، مع ذكر مَنْ تضرب له.

الفصل الدراسي الثاني

توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني

الأسبوع وتاريخه	الموضوعات	ملحوظات
الأول من / / ١٤٢هـ	الأدب في عصر صدر الإسلام، أثر الإسلام في اللغة والأدب، أثر القرآن في اللغة والأدب، أثر الحديث في اللغة والأدب.	واجب منزلي
الثاني من / / ١٤٢هـ	الشعر في عصر صدر الإسلام: موقف الإسلام منه، أغراضه.	
الثالث من / / ١٤٢هـ	خصائص الأدب في عصر صدر الإسلام. قراءة قصيدة النابغة الجعدي (خليلي...) وتوضيحها (حفظ ستة أبيات منها)	
الرابع من / / ١٤٢هـ	حسان بن ثابت (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة حسان في رثاء الرسول ﷺ (بطيبة رسم للرسول) وتوضيحها. (حفظ سبعة أبيات منها)	
الخامس من / / ١٤٢هـ	كعب بن زهير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار وتوضيحها. (حفظ ستة أبيات منها)	واجب منزلي
السادس من / / ١٤٢هـ	النثر في صدر عصر الإسلام (الخطابة والرسالة). قراءة خطبة الرسول ﷺ في الخيف. (حفظ الخطبة)	
السابع من / / ١٤٢هـ	الأدب في العصر الأموي: الشعر وأغراضه: (السياسي، المدح، الهجاء، النقائض)	
الثامن من / / ١٤٢هـ	اختبار منتصف الفصل الدراسي الثاني	واجب منزلي
التاسع من / / ١٤٢هـ	شعر الفتوح والدعوة الإسلامية، خصائص الشعر الأموي.	
العاشر من / / ١٤٢هـ	جرير (حياته وشعره وأغراض شعره) قراءة قصيدة جرير في مدح عبد الملك (أتصحو أم فؤادك). (حفظ خمسة أبيات منها)	
الحادي عشر من / / ١٤٢هـ	الفرزدق (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة الفرزدق في وصف الذئب (وأطلس عسال) (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثاني عشر من / / ١٤٢هـ	النثر في العصر الأموي: (الخطابة، الرسائل).	واجب منزلي
الثالث عشر من / / ١٤٢هـ	دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب. (حفظ الرسالة)	
الرابع عشر من / / ١٤٢هـ	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر.	
الخامس عشر من / / ١٤٢هـ	مراجعة عامة.	

الأدب في عصر صدر الإسلام

أثر الإسلام في اللغة والأدب:

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الجهل الذي هو التطاول والبغي والإشراك بالله وعبادة الأصنام وإتيان الفواحش.. إلى غير ذلك من مظاهر الجاهلية.

فجاء الإسلام وغيَّر هذه الحياة الجاهلية وأخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأثر في حياتهم تأثيراً كبيراً، ورسم لهم طريقاً جديداً، ونبذ طريقهم القديم.

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، أثر فيه الإسلام كما أثر في غيره من نواحي الحياة، واللغة هي المعبرة عن الأدب فلا يمكن أن نتصور أدباً من دون لغة، وبناء على ذلك فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثراً ملموساً في طرق التعبير المختلفة سواء كان ذلك في المفردات أو في التراكيب أو في البناء العام.

وقد رقق الإسلام ألفاظ اللغة وأبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة. وقد أسهم المسلمون من غير العرب في رقي أدب اللغة العربية فبرز شعراء وخطباء وكتاب أسهموا بنصيب كبير في توسع الأدب وتعدد أغراضه.

وبما أن الإسلام جاء بفكر جديد يحتاج إلى شرح وتوضيح فقد برزت الخطابة بأساليبها الجديدة، كما توسع كتاب الرسائل في التفنن في أساليبهم، وبرزت المناظرات بفنونها الأدبية والبلاغية، فأثر الإسلام في اللغة والأدب ظاهر وجلي.

أثر القرآن في اللغة والأدب

جمع القرآن العرب على لغة قريش فتخلوا عن لهجاتهم، كما غير عقلية العربي ونمط تفكيره، ورقق عاطفته وأسلوبه فأصبح يختار من الكلمات أَلْيَنها ومن الأساليب أسهلها، وأخذ يبتعد عن الكلمات الجافية الغليظة.

وقد شاعت الكلمات الإسلامية في اللغة مثل: الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، القيام، الركوع، السجود، الوضوء، المؤمن، الكافر، الإيمان، الفرقان، الإشراك، النفاق.

وقد اهتم المسلمون بعلوم العربية ليحفظوا القرآن من اللحن، ومن تلك العلوم: النحو والصرف واللغة، وذلك الاهتمام بتلك العلوم إنما هو بتأثير القرآن. كما عني المسلمون بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع ليبينوا إعجاز القرآن، ولا شك أن ذلك الاهتمام أثْرَى اللغة العربية وطور أساليبها.

وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فبقيت لغة حية على مر العصور بالإضافة إلى أنه هو الذي أتاح لها أن تنتشر في أنحاء المعمورة، فالمسلمون يحفظون القرآن ويتلونه في صلواتهم على مدار اليوم والليلة وإن كانوا من غير العرب.

وقد تأثر الأدباء بأسلوب القرآن الكريم واقتفوا أثره حتى أصبحت أساليبهم تقتبس منه، فمنها ما تأثر به كثيراً ومنها ما هو دون ذلك. وأما معاني الأدباء فقد وسعها القرآن لأنهم يأخذون من معان لا تنفد، فلو تتبعنا الشعر والخطب والرسائل لوجدنا أن معانيها لا تبعد عما اشتمل عليه القرآن، وقد اعتمد الخطيب والكاتب على القرآن الكريم في الاستشهاد على كلامه وبذلك أصبحت الآيات القرآنية مصدراً مهماً لدعم الخطبة أو الرسالة، وكلما كان ذلك الاستشهاد مناسباً كان ذلك الكلام أكثر تأثيراً في النفس.

أثر الحديث في اللغة والأدب

أسهم الحديث بجانب القرآن الكريم في نشر اللغة العربية وتعليمها للمسلمين من غير العرب لأنهم أصبحوا يحفظون الأحاديث. ثم نشأت الدراسات المعتمدة على الحديث، من شرح له وتوضيح غريبه والبحث في رجاله سنده، وتلك الدراسات وسعت دائرة اللغة في الاشتقاق وشرح الغريب بلفظ مرادف وتوضيح المعاني بتفتيقها إلى معان جزئية ليسهل فهمها.

وقد شاعت ألفاظ وتعبيرات في اللغة العربية بعد أن تناقل الناس أحاديث الرسول ﷺ منها: «هُدْنَةٌ على دَخَن وجماعة على أقذاء»[1]. «الآن حمي الوطيس»[2]. «لا يلسع المؤمن من جحر مرتين». وإذا كانت الألفاظ التي يستعملها الأديب المسلم في أدبه هي من خيار ما يحفظ من النصوص فإن ألفاظ الأحاديث الشريفة وتراكيبه وتعبيراته برزت في الأدب الإسلامي لأنها من محفوظات الأدباء سواء كانوا خطباء أو شعراء أو كتاباً، فقد رقَّتْ ألفاظهم وعَذُبَتْ أساليبهم.

والأدب إنما هو ألفاظ مختارة، وتراكيب متقنة، وأساليب مجودة، ومعان مؤثرة، فإذا بحث الأديب عما يعينه في صنع أدبه فلا شك أن الحديث الشريف يعد مصدره الثاني بعد القرآن الكريم، فالشعراء وسعوا معارفهم عن طريق حفظ الحديث وروايته والاستفادة من ألفاظه وتعبيراته ومعانيه، فهو مصدر إلهام لهم يستمدون منه معانيهم ويعتمدون عليه في ثقافتهم الإسلامية، والخطباء استفادوا من معاني الحديث وأساليبه فاستقامت ألسنتهم وقويت حججهم. والكاتب يستمد كثيراً من موضوعاته من الحديث، فهو يدعم رسالته بمعانيه وبعباراته أحياناً. وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن أثر الحديث في اللغة والأدب ملحوظ في لغة الأديب، وفي أسلوبه ومعانيه.

---

(١) دخن: حقد. والأقذاء: جمع قذى ويقصد به الضرر الذي يصبر عليه صاحبه حتى يستطيع أخذ حقه من خصمه.

(٢) الوطيس: التنور، ويراد به اشتداد الحرب.

الشـعر في عصر صدر الإسلام

موقف الإسلام من الشعر :

عندما بعث الرسول ﷺ كان في مكة عدد من الشعراء، وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة تطاول شعراء المشركين على الرسول والمسلمين فاضطر شعراء الأنصار إلى الدفاع عن الإسلام مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وقد دفعت هذه الخصومة شعراء مكة إلى الإكثار من الشعر. ومن شعراء مكة عبد الله بن الزبعري، وضرار بن الخطاب، وأبو سفيان بن الحارث.

أما الشعراء الذين دخلوا في الإسلام من غير شعراء مكة والمدينة فقد قل شعرهم أو توقف، ومن هؤلاء لبيد بن ربيعة العامري، وكعب بن زهير، وذلك يعود إلى ورع الشعراء وعدم إطلاق العنان لألسنتهم، فالإسلام نفَّر من الشعر السيِّيء ولكنه لم يحرم الشعر فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

وقد ورد في الحديث: «لأن يمتلىء جوفُ أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً»[3].

ففي الآية الأولى لا نجد تحريماً للشعر، والحديث الشريف ينفر من الشعر السيء، أي إنه لا يحرم الشعر بدليل قول الرسول ﷺ: «إن من الشعر حكمة»[4]، وقوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[5].

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤ إلى ٢٢٧.

(٢) سورة يس آية ٦٩.

(٣) البخاري ٨/٤٥ ط دار الشعب.

(٤) البخاري ٨/٤٢.

(٥) البخاري ٨/٤٤.

وقد قال ﷺ لحسان: « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك »[1]. وكان ﷺ يسمع الشعر من وفود العرب، وربما رضي عن المذنب بسبب شعره كما حصل لكعب بن زهير عندما ألقى قصيدته: « بانت سعاد » بين يدي الرسول ﷺ. ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن المحرَّم من الشعر هو ما أتى بالشرك وصرف عن الإسلام أو خالف مبادئه أما غير ذلك فلم يرد فيه تحريم.

أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام

أغراض الشعر في هذا العصر لا تكاد تختلف عن الأغراض التقليدية للشعر فيما عدا شعر الدعوة الإسلامية والفتوح.

لكن المعاني التي تحتويها هذه الأغرض تختلف عن معانيها في العصر الجاهلي وفيما يلي توضيح ذلك.

المدح:

يهدف المدح في هذا العصر إلى الإشادة بالإسلام ورسول الإسلام، فليس هدف المادح طلب المال كما كان يفعل الجاهليون، وإنما هدفه رفع راية الإسلام والدعاية له حتى يدخل العرب فيه، وخير ما يمثل ذلك قول عبد الله بن رواحة:

يا هَاشِمَ الخَيْرِ إنَّ الله فَضَّلَكُم ... على البَرِيّةِ فَضلاً ما لهُ غِيَرُ[2]

إنِّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ أعْرِفُهُ ... فِراسَةً خَالَفَتْهُمْ في الذي نَظَرُوا

ولَوْ سَأَلْتَ أوْ اسْتَنْصَرْتَ بَعْضَهُمُ ... في جُلِّ أمْرِكَ ما آوَوْا وَمَا نَصَرُوا[3]

فَثَبَّتَ الله ما آتَاكَ من حَسَنٍ ... تَثْبِيْتَ مُوسى ونَصْراً كالذّي نُصِرُوا[4]

ومن أجمل ما قيل في مدح الرسول ﷺ قصيدة (بانت سعاد) التي ألقاها كعب بن زهير بين

---

(١) البخاري ٨/٤٥.

(٢) الغير: التغيير.

(٣) بعضهم: بعض قريش.

(٤) نصروا: يقصد الرسل. والأبيات في طبقات فحول الشعراء ١/٢٢٦.

يدي الرسول ﷺ، ومن أبيات تلك القصيدة قوله:

إنَّ الرَّسُـــولَ لنورٌ يُسْـــتَـــضَـــاءُ بِهِ مُـــهَنَّدٌ من ســـيـــوفِ الله مَـــسْلُولُ

ومَدَحَ النابغة الجعدي الرسول ﷺ فقال:

أَتَيْتُ رَسُـــولَ الله إذْ جَـــاءَ بالهُـــدى وَيَتْلُو كِـــتَـــاباً كـــالمَجَـــرَّة نَيِّـــرا[1]

فهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الرسول بالكرم والشجاعة كما كان سائداً عند شعراء المدح في الجاهلية، وإنما مدحوه بما جاء به من الهدى والنور والقرآن بالإضافة إلى شجاعته ﷺ وكرمه؛ فمعاني المدح في الإسلام تختلف عن معاني المدح في الجاهلية.

وبعد وفاة الرسول ﷺ قل شعراء المدح وأصبح المدح ليس غرضاً للشعراء فالأبيات التي قيلت في مدح الخلفاء الراشدين قليلة إذا قيست بالأعمال التي قاموا بها.

الهجـاء:

اسْتَعَرت نار الهجاء بين شعراء مكة وشعراء المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة، والمعاني التي ترد في هجاء شعراء المدينة هي معان مختلفة، فقد يستعمل الشاعر المعاني المألوفة؛ من رمي خصمه بالهروب من المعركة والجبن، وقد يستعمل الشاعر المعاني الجديدة من رمي المهجو بالكفر والشرك، وكان حسان رضي الله عنه يكثر من المعاني التقليدية في الهجاء، وكان لذلك أثر كبير في من يهجوهم.

وبعد فتح مكة تضاءل الهجاء ولم يكن له شأن كبير وكان الخلفاء الراشدون يمنعون الشاعر من سب الناس والتعرض لأعراضهم.

الحماسة:

الشعر الحماسي في الإسلام صَاحَبَ الدعوة الإسلامية منذ فجرها، فهو الشعر الذي يشجع المقاتلين من المسلمين على القتال ويعتز بانتصارات المسلمين على الأعداء، ومن الشعراء الذين كان لهم نصيب في هذا الشأن كعب بن مالك؛ فله أشعار حماسية في كثير من غزوات الرسول ﷺ؛ فمن ذلك قوله في معركة أُحُد:

---

(١) الأغاني ٥/٩.

فـجـئنا إلى مَـوْجٍ من البَـحْـرِ وَسْطَهُ أحـابِيْشُ منهم حـاسِـرٌ ومُـقَنّعُ[1]
ثَـلاثَـةُ آلافٍ ونـحـنُ نَـصِـيّـةٌ ثَلاثُ مـئينٍ إنْ كَـثُـرْنَا وَأَرْبَعُ[2]
فَـرَاحُـوا سِـرَاعـاً مُـوجِـفِـيَن كَـأَنَّهُمْ جَـهَـامٌ هَرَاقَتْ مَـاءَهُ الرِّيحُ مُـقْلِعُ[3]
ورُحْنَا وأُخْـرَانَا تَـطَانَا كَـأَنّنَا أُسُـودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِـيـشَـةَ ظُلَّعُ[4]

وقال عبد الله بن رواحة في يوم مؤتة بعد أن قُتِلَ صاحباه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب:

أَقْـسَـمْتُ يا نَـفْسُ لَتَـنْزِلِنَّهْ طَـائِـعَـةً أَوْ لا لَـتُـكْـرَهِـنَّـهْ
وَطَالَمَـا قَـدْ كُنْتِ مُطْمَـئِنَّهْ مَـالِـي أَرَاكِ تَـكْـرهِـينَ الجَـنَّـة

الرثـاء :

الرثاء من الأغراض التي كان لها شأن في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فالحروب مستعرة، والفتن تتهدد المسلمين، وفقد الرجال يصحب تلك الحروب وتلك الفتن. ومن أهم ما قيل في الرثاء في هذه الفترة قول حسان في رثاء الرسول ﷺ:

بِطِيْـبَـةَ رَسْمٌ للرسـول ومَـعْـهَـدُ منيـرٌ وقـد تَعْـفُـو الرُّسُـومُ وتَهْـمَـدُ

وهي قصيدة طويلة. وله قصيدة أخرى مطلعها:

مَـابَالُ عَـيْـنِكَ لا تَنَامُ كَـأَنَّمَـا كُـحِلَتْ مَـآقِـيْـهَـا بِكُحْلِ الأَرْمَـدِ

ويقول فيها:

يَارَبِّ فَـاجْـمَـعْنَا مَـعـاً وَنَبِـيَّنَا في جَنَّةٍ تَثْني عُـيُـونَ الخُـلَّـدِ
صَلّى الإِلـه ومَـنْ يَـحُـفُّ بِعَـرْشِـهِ والطَّيِّـبُـونَ على المُبـارَكِ أَحـمـدِ

وقال عبد الله بن رواحة يرثي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما:

---

(١) أحابيش: أحلاف قريش.

(٢) نصيَّة القوم: خيارهم.

(٣) موجفين: مسرعين. الجهام: السحاب الخفيف الذي أفرغ ماءه.

(٤) بيشة: المدينة المعروفة في الجنوب الغربي من المملكة وكانت الأسود تكثر فيها.

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكَاها ... وَمَا يُغْني البُكاءُ وَلا العَويلُ
عَلَى أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةُ ذاكُمُ الرَّجُلُ القَتِيلُ
عَلَيْكَ سَلامُ رَبِّكَ في جِنَانٍ ... مُخالِطُهَا نَعِيمٌ لا يَزُولُ

وقد رُثِيَ الخلفاءُ الراشدون بمراث كثيرة فمما قيل في أبي بكر قول حسان رضي الله عنهما:

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثِقَةٍ ... فاذكُر أخاكَ أبا بكْرٍ بما فَعلا
وكان حبَّ رسُولِ الله قد عَلِمُوا ... مِنَ البَرِيّةِ لم يَعْدِلْ بِهِ رَجُلا

ومن خير ما قيل في رثاء عمر رضي الله عنه قول جَزْء بن ضرار الذبياني:

جَزَى الله خَيْراً من أميرٍ وباركَتْ ... يَدُ الله في ذَاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ[1]
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحي نَعَامَةٍ ... لِيُدْرِكَ مَا حَاوَلْتَ بالأمْسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أُموراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا ... بَوَائِقَ في أكْمَامِهَا لَمْ تَفَتَّقِ[2]
وَمَا كُنْتُ أخْشَى أنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ ... بِكَفَّي سَبَنْتى أزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ[3]

وقد رثى أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي عثمان بن عفان فقال:

ضَحّوْا بِعُثْمَانَ في الشَهْرِ الحَرَام وَلَمْ ... يَخشَوْا عَلَى مَطْمح الكَفِّ الذي طَمَحوا
مَاذَا أرَادُوا أَضَلَّ الله سَعْيَهُمْ ... من سَفْحِ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكي الذي سَفَحوا
إنَّ الذين تَوَلّوا قَتْلَهُ سَفَهاً ... لا قَوْا أثَاماً وخُسْرَاناً فَمَا رَبِحُوا[4]

أما رثاء علي بن أبي طالب فهو كثير، نختار منه قول أبي الأسود الدؤلي:

أفي شَهْرِ الصِّيامِ فَجَعْتُمُونَا ... بِخَيْرِ النَّاسِ طُراً أَجْمَعِينَا

---

(١) الأديم: الجلد.

(٢) بوائق: غوائل. أكمامها: جمع كم وهو وعاء الثمر.

(٣) السبنتى: النمر أو هو مأخوذ من الإسبات وهو السكون والهدوء. والأبيات في طبقات فحول الشعراء ١/١٣٣.

(٤) الكامل ٢/٧٣٨.

قَـــتَلْتُمْ خَـــيْـــرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَخَـيَّـسَـهـا ومَنْ رَكِبَ السَّـفـينا[1]

لَقَـــدْ عَلِمَتْ قُـــرَيْشٌ حَـــيْثُ حَلَّتْ بِأَنَّكَ خَـــيْـــرُها حَـــسَـــبـــاً وَدِينَا

وإذا نظرنا في معاني الرثاء وجدناها تجمع بين المعاني القديمة من مدح للميت بالشجاعة وتحمل المسؤوليات، والمعاني الجديدة حيث يطلب الشاعر للميت الرحمة ودخول الجنة ويمدحه بمحبة رسول الله له، ومن معاني الرثاء إظهار الأسف بعدم التكافؤ بين القاتل والمقتول ومدح الميت بالتديُّن.

شعر الدعوة والفتوح الإسلامية :

حث الإسلام على الدعوة إلى الله كما حث على قتال المشركين. نجد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد التزم المسلمون بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله كل بحسب طاقته وبحسب الوسائل المتاحة له، فالمسلم الشجاع يقاتل بسيفه، والشاعر يحمس المسلمين المجاهدين بشعره، وقد ساهم الشعراء في الدعوة إلى الله بأشعارهم كما فعل حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان شعر هؤلاء خير وسيلة إعلامية للإسلام في ذلك الوقت، فإشادتهم بانتصارات المسلمين في بدر وثباتهم في أحد وصمودهم في الخندق كل ذلك فيه إشارات واضحة بأن المسلم مُعانٌ في قتاله وأن المشرك يسير في طريق الضلال، والشعراء الذين دخلوا في الإسلام متأخرين أسهموا في الدعوة إلى الله، فشعر بجير بن أبي سلمى أثر في أخيه كعب فأسلم، والأبيات التي أرسلها بجير إلى أخيه كعب يدعوه فيها إلى الإسلام هي :

إلى الله لا العـــزى ولا اللات وحـــدَهُ فـــتنجـــو إذا كـــان النجـــاءُ وتسلمُ

لـدى يوم لا ينجـــــو وليس بمفلتٍ من النار إلا طاهرُ القلبِ مـــــسلمُ

فَـــــدِينُ زُهَيْـــــرٍ وهو لا شيء بَاطلٌ وَدِيْنُ أبي سُلْمَى عَلَيَّ مُـــحَـــرَّمُ

---

(١) خيسها : ذللها. والأبيات في الأغاني ١٢/٣٢٩.

وقد أسلم كعب وحسن إسلامه بسبب شعر أخيه بجير، بل إنه صنع قصيدة اشتهرت بـ(بانت سعاد) تشتمل على أبيات تشيد بالرسول ﷺ والصحابة.

وقد خرج الصحابة إلى القتال تاركين زوجاتهم وأبناءهم وآباءهم الكبار في السن وأمهاتهم، وقد صاحب تلك المواقف أشعار مؤثرة تنبئ عن عمق العقيدة في النفس وتغلغلها في الوجدان، ومن الأشعار التي سجلت بعض المواقف قول النابغة الجعدي يخاطب زوجته حين اعترضت على خروجه، يقول النابغة:

بَاتَتْ تُذَكِّرُني بالله قَاعِدَةً ... والدَّمْعُ يَنْهَلُّ من شَأْنَيْهِمَا سَبَلاً[1]

يا بنت عَمِّي كِتَابُ الله أَخْرَجَني ... كُرْهاً وَهَلْ أمنعنَّ الله مَا فَعَلا

فَإِنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ النَاسِ يُرْجِعُني ... وإِنْ لَحِقْتُ بِرَبِّي فَابْتَغِي بَدَلا

مَا كُنتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيَعْذِرَني ... أَوْ ضَارِعاً من ضَنًى لَمْ يَسْتَطِعْ حِوَلا[2]

وقد صاحب الشعرُ الفتوحَ الإسلامية في العراق وبلاد المشرق، وفي الشام ومصر وبلاد المغرب، وكله ينبيء عن الصبر وتحمل المشاق؛ من ذلك ما قاله بشر بن ربيعة الخثعمي في موقعة القادسية:

تَذَكَّرْ هداك الله وقْعَ سُيُوفِنَا ... بِبَابِ قُدَيْسٍ والمَكَرُّ عَسِيرُ[3]

عَشِيَّةَ ودَّ القومُ لو أن بعضَهُمْ ... يُعَارُ جَنَاحَيْ طائرٍ فَيَطِيرُ

إِذَا مَا فَرَغْنَا من قِرَاعِ كَتِيبَةٍ ... دَلَفْنا لأُخْرَى كَالجِبَالِ تَسِيرُ[4]

---

(١) أسبل الدمع إذا انهمر والاسم السبل.

(٢) الضارع: النحيف. الضنى: المرض. والأبيات في الشعر والشعراء ١/٢٩٣.

(٣) قديس: موضع في القادسية.

(٤) د لفنا: تقدمنا.

تَرَى القَـوْمَ فـيْـهَـا واجَـمَينَ كـأنَّهُم جِـمَـالٌ بِأحـمَـالٍ لهُنَّ زَفِـيـرُ[1]

وقد اشتهر من شجعان الفتوح شعراء جمعوا بين الشجاعة والشعر، ومن أشهر الشعراء الشجعان القعقاع بن عمرو التميمي، وعمرو بن معديكرب الزبيدي. وإذا تتبعنا الموضوعات التي قيل فيها شعر الفتوح وجدناها تدور حول الحماسة والرثاء، والحنين إلى الوطن.

(١) الوجوم: السكوت على غيظ. والأبيات في الأغاني ١٥ / ٢٤٣ وبشر بن ربيعة شاعر إسلامي ومن أشهر فرسان القادسية وقد منع سعد بن أبي وقاص عطاءه؛ لأنه لايحفظ القرآن فقال هذه الأبيات.

خصائص الشعر في صدر الإسلام

(أ) خصائص المعاني

تختلف معاني الشعر في عصر صدور الإسلام عنها في العصر الجاهلي، ومن أهم ما يميز تلك المعاني ما يلي:

١- **تسخير معاني الشعر لخدمة العقيدة الإسلامية وتوسيع دائرة الإسلام.**

٢- **اشتمال الشعر على كثير من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف**، فحسان رضي الله عنه أخذ معنى الآية الكريمة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وجعله في هذا البيت:

عَـزيزٌ عليـه أنْ يَحِيـدُوا عَنِ الهُـدى حَـرِيصٌ على أنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

٣- **الابتعاد عن التخبط**، فالمعاني تسير في طريق رسمه القرآن ووضحه الرسول ﷺ

٤- **التعبير عن تقوى الله وعن الورع الذي يملأ قلوب الشعراء**. يقول بجير بن زهير بن أبي سلمى:

إلى اللهِ لا العُـزَّى ولا اللاتِ وحْـدَهُ فَـتنجـو إذا كـان النجـاءُ وتَسْلَمُ

لـدى يـوم لا يـنجـو ولـيس بمفْلِتٍ مـن النـار إلا طـاهـر والـقـلـبِ مُـسْلِمُ

على أن معاني الشعر الإسلامي لم تنفصل انفصالاً تاماً عن معاني الشعر الجاهلي فالمعاني التي أهملت في الإسلام هي المعاني التي نفاها الإسلام وأنكرها، أما المعاني التي لم ينفها الإسلام فإنها بقيت متداولة لدى الشعراء في عصر صدر الإسلام؛ فالمدح الخالي من المبالغة موجود عند كعب ابن زهير وحسان وغيرهما، والهجاء الذي يقلل من شأن الكفار وينفرهم من الحالة التي يعيشون فيها موجود عند شعراء الرسول ﷺ، والمعاني الحماسية التي تهدف إلى قتل الكفار وتنشيط المقاتلين من المسلمين موجودة أيضاً في الشعر الإسلامي.

(ب) خصائص الأسلوب

كما اختلفت المعاني الشعرية في عصر صدر الإسلام، وتميزت عن العصر الجاهلي، فإن هذا الاختلاف شمل أسلوب الشعر أيضاً. وأهم ما يميز أسلوب الشعر في هذا العصر ما يلي:

١- **التأثر بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف.**

٢- **البعد عن الجفاء والغلظة في الأسلوب لوجود العاطفة الإسلامية الرقيقة**، مثل الورع والتقوى ومخافة الله.

٣- **سهولة الألفاظ حيث يفهمها عامة الناس.**

٤- **وجود ألفاظ جديدة في أساليب الشعراء في هذا العصر.** مثل: الجنة، النار، الكفار، المشركون، الفاسق...

٥- **البعد عن الصنعة والتكلف في معظم أساليب الشعر وألفاظه**، فحسان رضي الله عنه يضطر إلى الرد على الوفود بشعر مرتجل، وعبد الله بن رواحة يرتجل في شعره، وخير شاهد على ذلك قوله:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلو فكل الخير مع رسوله

مناقشة

١- ما أثر القرآن في اللغة والأدب؟

٢- تحدث عن بلاغة الحديث وأثره في اللغة والأدب.

٣- تحدث بإيجاز عن موقف الإسلام من الشعر.

٤- قارن بين غرضي المدح والهجاء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.

٥- اذكر أهم ما يميز معاني الشعر في عصر صدر الإسلام.

٦- اذكر خصائص أسلوب الشعر في عصر صدر الإسلام.

٧- استحدث غرض جديد للشعر في عصر صدر الإسلام . اذكره، وتحدث عنه.

نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام

١- قصيدة العباس بن مرداس*:

١ - لَعَمْرِيَ إِنِّي يَوْمَ أجْعَلُ جَاهِداً ... ضِمَاراً لربِّ العالمين مُشَارِكَا[١]

٢ - وَتَرْكِي رَسُولَ الله والأوْسُ حَوْلَهُ ... أولئكَ أنصارٌ لهُ ما أولئِكَا؟

٣ - كَتَارِكِ سَهْلِ الأرْضِ والحَزْنَ يَبْتَغي ... لِيَسْلُكَ في غَيْبِ الأمُورِ المَسَالِكَا

٤ - فآمنتُ بالله الذي أنَا عَبْدُهُ ... وخَالَفْتُ من أمْسى يُرِيدُ المَمَالِكَا

٥ - ووَجّهْتُ وجْهِي نَحْوَ مَكّةَ قَاصِداً ... وتَابَعْتُ بَيْنَ الأخْشَبَين المُبَارَكَا[٢]

٦ - نَبيٌّ أتانا بعد عيسى بِنَاطِقٍ ... من الحقِّ فيه الفصلُ منه كذلكا

٧ - أمِيناً على الفُرْقَانِ أوّلُ شَافِعٍ ... وآخِرُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الملائكَا

٨ - تَلافَى عُرَى الإسلامِ بَعْد انْفصَامِها ... فَأحكَمَهَا حَتى أقَامَ المَنَاسِكَا

٩ - رَأيْتُكَ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... تَوَسّطْتَ في القُرْبَى من المَجْدِ مَالِكَا[٣]

١٠ - سَبَقْتَهُم بالمَجْدِ والجُود والعُلا ... وبالغَايَةِ القُصْوَى تَفُوتُ السّنَابِكَا[٤]

١١ - فَأنْتَ المُصَفّى من قُرَيش إذَا سَمَتْ ... غَلاصِمُهَا تَبْغي القُرُومَ الفَوَارِكَا[٥]

---

* **تعريف بالشاعر:**

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، شاعر فارس، وأمه الخنساء الشاعرة، أسلم في السنة التي فتحت فيها مكة، وقال هذه القصيدة عند ما دخل الإيمان قلبه وتوجه للرسول ﷺ، وقد توفي العباس في خلافة عمر سنة ١٨هـ.

(١) ضمار: صنم لبني سليم.

(٢) الأخشبان: جبلان بمكة، وهما أبو قبيس وقيقعان.

(٣) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

(٤) السنابك: حوافر الخيل.

(٥) الغلاصم: جمع غلصمة وهي أصل اللسان وتطلق على الجماعة أو السادة.

والقروم: جمع قرم وهو السيد والفوارك: جمع فارك وهو المبغض لزوجته. يريد أن نساءهم لا تلهيهم عن عظائم الأمور.

والقصيدة في الأغاني ١٤ / ٣٠٤.

٢- قصيدة كعب بن زهير* (بانت سعاد):

١- بانت سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَم يُفْدَ مَكْبُولُ[١]

٢- وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[٢]

٣- أَنْبِئتُ أنَّ رسول الله أوْعَدَنِي ... والعَفْوُ عند رسول الله مَأْمُول

٤- مهلاً هداكَ الذي أعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... ـقُرْآنِ فيهَا مواعيظٌ وتَفْصِيلُ

٥- لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أَذْنِبْ وإِنْ كَثُرَتْ فيَّ الأَقَاوِيلُ[٣]

٦- إِنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ الله مَسْلُولُ[٤]

٧- في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا[٥]

٨- زالُوا فَمَا زالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقَاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ[٦]

---

* **تعريف بالشاعر:**
كعب بن زهير هو ابن زهير بن أبي سلمي الشاعر المشهور في الجاهلية، وكعب من قبيلة مزينة إحدى قبائل مضر وقد مدح بهذه القصيدة النبي ﷺ أما وفاة كعب فهي في سنة ٢٦هـ.

(١) بانت: بعدت وفارقت، وسعاد اسم امرأة. متبول: مصاب بتبل وهو الهلاك.
متيم: مذلل. إثرها: بعدها. لم يفد: لم تقدم فدية لفكه من الأسر. مكبول: مقيد ومحبوس.

(٢) البين: البعد والفراق. أغن: الأغن من الغزلان الذي في صوته غنة والغنة صوت يخرج من الخياشيم. غضيض الطرف: فاتره والغض: الكسر والفتور. مكحول: شديد سواد شعر الجفون.

(٣) الوشاة: جمع واش وهو النمام الكاذب.

(٤) مهند: منسوب إلى الهند. مسلول: مخرج من جرابه.

(٥) العصبة: الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: اذهبوا واخرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة.

(٦) أنكاس: جمع نكس وهو الرجل الضعيف، الكشف: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه. ميل: جمع مائل وهو من لا يثبت على السرج. ومعازيل: جمع أعزل وهو من لا رمح معه.

٩- شُمُّ العَـرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُـوسُـهُمُ ... من نَسْجِ داودَ في الهَـيجَـا سَـرَابِيلُ[١]

١٠ - لا يَفْـرَحُـونَ إِذَا نَالَتْ رِمَـاحُـهُمُ ... قَـوْمـاً ولَيْـسُـوا مَـجَـازِيْعـاً إِذَا نِيْلُوا[٢]

١١ - لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلا في نُحُـورِهُمُ ... ومـالَهُـمْ عن حِـيَـاضِ المَوتِ تَهْلِيْلُ[٣]

---

(١) شم العرانين: شم: جمع أشم، والعرانين جمع عرنين وهو الأنف. ومعنى أشم: عالي الأنف.. من نسج داود: يقصد الدروع لأن أول من صنعها داود. الهيجاء: الحرب. سرابيل: جمع سربال وهو القميص أو الدرع والمقصود هنا الدرع.

(٢) مجازيع: جمع مجزاع وهو الكثير الجزع.

(٣) النحور: جمع نحر وهو أعلى الصدر. حياض الموت: ميادين الحرب. تهليل: نكوص وجبن وخوف. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٧٨٨.

٣ - قصيدة النابغة الجعدي* :

١ - خَلِيلَيَّ عُوجَا ساعةً وتَهَجَّرا ... ولُومَا على مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أو ذَرَا[١]

٢ - ولا تَجْزَعَا إنَّ الحَيَاةَ قَصِيرَةٌ ... فَخِفَّا لِرَوْعَاتِ الحَوادِثِ أَوْ قِرا[٢]

٣ - وإنْ جاءَ أَمْرٌ لا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ ... فَلاَ تَجْزَعَا مِمّا قَضَى الله واصْبِرَا

٤ - أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ المَلامَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ إذَا مَا الشَّيءُ ولَّى وأدْبَرَا

٥ - تَهِيجُ البُكَاءَ والنَّدَامَةَ ثُمَّ لاَ ... تُغَيِّر شَيْئاً غَيْرَ مَا كَانَ قُدِّرَا

٦ - أتَيتُ رسُولَ الله إذْ جاءَ بالهُدى ... وَيَتْلُو كِتَاباً كَالْمَجَرَّةِ نَيِّرَا[٣]

٧ - وَجَاهَدْتُ حَتّى ما أُحِسُّ وَمَنْ مَعِي ... سُهَيْلاً أذَا مَا لاحَ ثُمَّتَ غَوَّرَا

٨ - أُقِيمُ علىَ التَّقَوَى وأرْضَى بِفِعْلِهَا ... وكُنْتُ مِنَ النّارِ المَخُوفَةِ أوْجَرَا[٤]

٩ - وَلا خَيْرَ في حِلْمٍ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

١٠ - وَلاَ خَيْرَ في جَهْلٍ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إذَا مَا أَوْرَدَ الأمْرَ أَصْدَرَا

١١ - فَفي الحِلْمِ خَيْرٌ في أُمورٍ كَثِيرةٍ ... وفي الجَهْلِ أحْيَاناً إذَا مَا تَعَذَّرَا

---

* **تعريف بالشاعر :**

هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي، وسمي النابغة؛ لأنه نبغ في الشعر بعد أن بلغ ثلاثين سنة. وقد توفي بأصبهان سنة ٥٠هـ.

(١) تهجرا: سيرا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. ذرا: مخففة من ذرأ ، وهي مرادفة لأحدث.

(٢) قرا: مصدرها الوقار وهو الزرانة والحلم.

(٣) المجرة: نجوم مجتمعة في السماء يصدر عنها نور.

(٤) أوجر: خائف.

٤ قصيدة متمم بن نويرة

١ – أَقُــولُ وقــد طارَ السّنَا في رَبَابِهِ ... بِجَــوْنٍ يَسُحُّ المَاءَ حَــتّى تَرَيّعَــا[١]

٢ – سَقَى الله أرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مالكٍ ... ذِهَابَ الغَــوَادي المُدْجِنَاتِ فَـأَمْـرَعَـا[٢]

٣ – تَحِـيّـتُــه مني وإنْ كَــانَ نَائِيــاً ... وأَمْــسَى تُرَاباً فَـوْقَـهُ الأرْضُ بَلْقَـعَـا[٣]

٤ – فَـــإِنْ تَكُنِ الأيّامُ فَـــرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَـقَـدْ بانَ مـحْـمُـوداً أخِي يَوْمَ ودَّعَـا

٥ – وَعِـشْنَا بخـيـرٍ في الْحَـيَـاةِ وَقَـبْلَنَا ... أصَــابَ المَنَايا رَهْطَ كِــسْــرَى وَتُبَّــعَــا

٦ – فَلَمّــا تَفَــرَّقْنَا كَــأَنّي وَمَــالِكاً ... لِطُولِ اجْــتِــمَــاعٍ لَـمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَــعَــا

٧ – تَقُولُ ابنةُ العَـمْـرِيّ : مـالَكَ بَعْـدَمَا ... أرَاكَ قَـدِيْمَـاً نَاعِمَ الوَجْــهِ أفْـرَعَـا؟[٤]

٨ – فَـقُلتُ لهَـا : طُولُ الأسَى إذْ سَـأَلْتِني ... ولَوْعَـةُ حُـزْنٍ تَتْـرُكُ الوَجْـهَ أسْـفَـعَـا[٥]

٩ – وفَـــقْـــدُ بَنِي أُمٍّ تَوَلّوْا وَلَـمْ أَكُنْ ... خِـلاَفَـهُـمُ أَنْ أَسْـتَـكِينَ فـأَخْـضَـعَـا

١٠ – ولكِنَّني أَمْـضي عَلَى ذاكَ مُـقْـدِماً ... إذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الخُطُوبَ تَضـعْـضـعَـا

١١ – قَـعِـيـدَكِ أَلاَّ تُسْـمِـعِـيني مَـلامَـةً ... وَلا تَنْكَئي قَـرْحَ الفُـؤادِ فَـيَـيْـجَـعَـا[٦]

١٢ – وَحَسْبُكِ أَنّي قَدْ جَهُدْتُ فَلَمْ أَجِدْ ... بِكَـفّيَ عَنْهُ لِـلْـمَنِيّـــةِ مَـــدْفَـــعَـــا

---

* **تعريف بالشاعر :**

هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد، من بني يربوع من تميم، كان قصيراً أعور وقد قال هذه القصيدة في رثاء أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة. وقد توفي متمم سنة ٣٠هـ.

(١) السنا: ضوء البرق. الرباب: السحاب. الجون: السحاب الأسود. تريع: تردد.

(٢) الذهاب: جمع ذِهْبَة وهي المطرة الغزيرة. الغوادي: التي تغدو بالمطر. المدجنات: السحاب التي تغطي السماء فلا يرى. أمرع: أخصب.

(٣) أرض بلقع: لا أحد فيها ولا نبات.

(٤) ابنة العمري: زوجته. الأفرع: الكثير شعر الرأس.

(٥) أسفع: أسود ضارب إلى الحمرة.

(٦) قعيدك: أصله قعيدك الله، كقولك نشدتك الله وهو من أيمان العرب. تنكئي: من قولهم نكأت القرحة إذا قشرتها. ييجع: لغة تميم، ولغة قريش: يوجع.

٥ - قصيدة كعب بن مالك*:

١ - مَنْ مُبْلِغُ الأنْصَارَ عَني آيَةً ... رُسُلاً تَقُصُّ عَلَيْهِمُ التِّبْيَانا

٢ - أنْ قَدْ فَعَلْتُم فَعْلَةً مَذْكُورَةً ... كَسَتِ الفُضُوحَ وأَبْدَتِ الشَّنَآنَا[١]

٣ - بِقُعُودِكُمْ في دُورِكُمْ وأَمِيرُكُمْ ... تُحْشَى ضَوَاحي دَارِهِ النِّيرَانَا

٤ - بَيْنَا يُرَجَّى دَفْعُكُمْ عَنْ دَارِهِ ... مُلِئتْ حَرِيْقاً كَابِياً ودُخَانا[٢]

٥ - حَتّى إذَا خَلَصُوا إلى أَبْوَابِهِ ... دَخَلوا عَلَيْهِ صَائِماً عَطْشَانَا

٦ - يُعْلُونَ قُلَّتَهُ السُّيُوفَ وَأَنْتُمُ ... مُتَلَبِّثُونَ مَكَانَكُمْ رِضْوَانَا[٣]

٧ - اللهُ يَعْلَمُ أَنّني لَمْ أَرْضَهُ ... لَكُمُ صَنِيعاً يَوْمَ ذَاكَ وشَانَا

٨ - يَالَهْفَ نَفْسي إذْ يَقُولُ : أَلاَ أَرَى ... نَفَراً مِنَ الأنْصَارِ لي أعْوَانَا

٩ - إنِّي رَأَيْتُ مُحَمّداً إخْتَارَهُ ... صِهْراً وكَانَ يَعُدُّهُ خُلْصَانَا[٤]

١٠ - فَلَوَ انْكُمْ معَ نَصْرِكُمْ لِنَبِيِّكُمْ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ نَصَرْتُمُ عُثْمَانَا

١١ - أنَسِيْتُمُ عَهْدَ النَّبِيِّ إلَيْكُمُ ... ولَقَدْ أَلَظَّ ووَكَّدَ الأَيْمَانا[٥]

---

* **تعريف بالشاعر:**

هو كعب بن مالك بن عمرو الخزرجي، وهو من شعراء النبي ﷺ ومن الذين أنجدوا عثمان ودافعوا عنه، وقد ألقى هذه القصيدة التي يؤنب فيها الأنصار على تقاعسهم عن نصرة عثمان ويؤبن فيها عثمان رضي الله عنه، ألقاها في مجلس الأنصار في مسجد الرسول ﷺ ، فلما سمعوا ما قال بكوا واستغفروا الله، وقد توفي كعب سنة ٥٠هـ.

(١) الشنآن: البغضاء.

(٢) كابياً: دخان وفحم. أي إن هذا الحريق الضخم اختلط دخانه بفحمه.

(٣) رضواناً: راضون.

(٤) الخلصان : الصديق الخالص.

(٥) ألظ: ألح. والقصيدة في الأغاني ١٦/٢٢٨.

دراسة مفصلة لبعض شعراء صدر الإسلام:

حسان بن ثابت

حياته:

حسان بن ثابت ينتسب إلى الخزرج فهو حسان بن ثابت بن المنذر من بني النجار أخوال النبي ﷺ ثم من الخزرج، والخزرج قبيلة قحطانية. ولد في يثرب قبل مولد الرسول ﷺ بثمان سنوات وعاش عمراً مديداً في الجاهلية.

وحسان شاعر مشهور في الجاهلية اتصل بالغساسنة ومدحهم وأخذ جوائزهم، واتصل بالمناذرة ومدحهم وأخذ جوائزهم، وقد كان بين الأوس والخزرج أيام مشهورة في الجاهلية ولذلك نجد حساناً يدافع عن الخزرج ويهجو الأوس. وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كان حسان هو شاعر الإسلام الأول؛ فقد دافع عن الإسلام بلسانه دفاعاً مجيداً حتى أصبح زعيم المناقضات الشعرية بين المسلمين والمشركين. ويملك حسان حصناً وبستاناً في المدينة، وحصنه من أجود الحصون، وقد كان النبي ﷺ يضع أهله في حصن حسان عندما يخرج للغزو. وبعد وفاة الرسول ﷺ كان الصحابة يقدرونه ويجلونه جزاء ما قدم من الأعمال الصالحة في الدفاع عن الإسلام.

وقد عاصر حسان حروب الردة، وسمع ورأى في خلافة عمر بن الخطاب كيف قوض المسلمون مملكتي غسان في الشام والمناذرة في العراق اللتين كان ينتجعهما طلباً للعطاء في الجاهلية. وقد امتد به العمر حتى شاهد كيف يزيل الإسلام دولة الفرس العظيمة وكيف يقهر المسلمون دولة الروم في الشام ومصر. فحسان من المعمرين، فقد عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ

شعره:

حسان بن ثابت امتد به العمر مئة وعشرين عاماً، فقال أشعاراً كثيرة في هذا العمر الطويل، وقد عرف عنه في الجاهلية أنه من أشعر أهل القرى، وعرف عنه في الإسلام أنه شاعر الرسول، وديوانه يجمع شعره الجاهلي والإسلامي، وسنتناول فيما يلي كلا النوعين من شعره.

(أ) شعره في الجاهلية

كان حسان بن ثابت في العصر الجاهلي شاعر الخزرج يدافع عنهم ويرد على شعراء الأوس، وقد اشتهر شعره في العصر الجاهلي، وتعدى يثرب، بل إنه وصل إلى العراق والشام وسوق عكاظ، وقد قال حسان الشعر في العصر الجاهلي في الأغراض التالية:

١ - المدح :

يعتبر مدح حسان في الجاهلية من أجمل شعره وأقواه بل إن مدحه في الجاهلية يمثل شعره القوي في أسلوبه ومعانيه، ومن أجود ما قال في المدح قوله في الغساسنة:

لله دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ ... يوماً بِجِلَّقَ في الزمانِ الأوَّلِ[١]

يمشون في الحُلَلِ المُضَاعَفِ نَسْجُهَا ... مَشْيَ الجِمَالِ إلى الجمالِ البُزَّلِ[٢]

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ ... شُمُّ الأنُوفِ من الطِّرَازِ الأوَّلِ

٢ - الفخر :

فخر حسان في الجاهلية لا يقل جودة عن المدح، فهو الغرض الثاني الذي يلي المدح، وأسلوبه في الفخر يشبه أسلوبه في المدح، ومن أجود ما قال في الفخر قوله:

لنا حاضرٌ فَعْمٌ، وبادٍ كأنهُ ... شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وتكرُّما[٣]

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَمَاً[٤]

فَكُلُّ مَعَدٍّ قد جَزَيْنَا بِصُنْعِهِ ... فَبُؤسَى بِبُؤسَاها، وبالنُّعْمِ أَنْعُمَا

---

(١) جلق: موضع قرب دمشق.

(٢) الجمال البزل: جمع بازل وهو الجمل الذي أكمل ثماني سنوات ودخل التاسعة.

(٣) فعم: كثير. شماريخ: أعالي الجبل. رضوى: جبل قرب ينبع.

(٤) الجفنات: القصاع. الغر: البيض.

٣ - الهجاء :

قال حسان أشعاراً كثيرة في الهجاء وخصوصاً في هجاء الأوس، فقد كانت الحروب لا تنقطع بين الأوس والخزرج، وبما أن قيس بن الخطيم شاعر الأوس يهجو الخزرج فإن حسان لا يألو جهداً في هجاء الأوس، ومعانيه في الهجاء هي الجبن والهروب من المعارك وذلة الجدود وغير ذلك من المعاني التي نجدها في هجائه.

٤ - الغـــزل :

ومن الأغراض التي قال حسان فيها الشعر في جاهليته الغزل، وكان يستخدمه وسيلة لتأدية غرضه الشعري، فهو يكون في مقدمة القصيدة في الغالب، ومن غزله قوله:

تـذكـــــرتُ لـيـلـى وأنَّـى بـهَـــــا ... إِذَا قُـطِّـعَـتْ مـنـكَ أقْـــــرَانُـهَـــــا[1]

مـــهـــاةٌ مِـنَ الـعِـينِ تَـمْـــشِي بِـهَـــا ... وَتَتْـــبَـــعُـــهَـــا ثَـمَّ غِـــزْلانُـهَـــا

وَقَـــفْـتُ عليـــهَـــا فـــســـاءلتُـــهـــا ... وقـــد ظعـنَ الحيُّ مـــا شَـــانُهَـــا

فَـــعَـــيَّـتْ وجَـــاوَبَـني دُونَـهَـــا ... بِـمَـــــارَاعَ قَـلْـبِـيَ أعْـــوَانُـهَـــا

---

(١) الأقران : جمع قَرَنَ وهو الحبل.

(ب) شعره في الإسلام

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وشعره في الإسلام يسير وفق العقيدة الإسلامية، فمن أول ما قال في الإسلام قوله:

شهدتُ بإذن الله أن محمداً ... رسولُ الذي فَوْقَ السموات مِنْ عَلُ

وأن أخا الأحْقَاف إذْ يَعْذِلُونَهُ ... يقومُ بدين الله فيهِمْ فَيَعْدِلُ[1]

وأن أبا يحيى ويحيى كِلاَهُمَا ... له عملٌ في دينه مُتَقَبَّلُ[2]

وأنَّ الذي عادَى اليهودُ ابنَ مَرْيَمٍ ... رَسُولٌ أتَى من عند ذِي العَرْشِ مُرْسَلُ

وقد كان النبي ﷺ يجل حسان ويقدره بل إنه يستمع إلى شعره في المسجد، وقد قال الشعر في الإسلام في الأغراض القديمة ولكنه سخر أغراضه في الإسلام لخدمة الإسلام ونشره والرد على مناوئيه، ومن الأغراض التي قال فيها الشعر في إسلامه: المدح، والهجاء والرثاء.

١ - المدح:

لقد مدح حسان الرسول ﷺ ومدح المهاجرين وخص رجالاً من الصحابة بمدائح رائعة، وإذا تتبعنا المعاني التي يختارها لمدائحه وجدناها معاني إسلامية؛ فهو يمدح النبي ﷺ بالنبوة وباقتران اسمه باسم الله في الأذان، وبتطهيره الأرض من الأصنام؛ يقول حسان في ذلك:

أغَرُّ، عليه للنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... من الله مَشْهُودٌ يلوحُ ويُشْهَدُ

وضَمَّ الإلهُ اسمَ النَّبِي إلىَ اسْمِهِ ... إذا قالَ في الخمسِ المؤذنُ أشْهَدُ

وشَقَّ لَهُ من إسمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

نَبيٌّ أتَانَا بعدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ ... من الرُّسْلِ والأوثانُ في الأرض تُعبدُ

فأمسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيراً وَهَادِياً ... يلوحُ كما لاحَ الصَّقِيلُ المُهَنَّدُ

---

(١) هو هود عليه السلام وهو المشار إليه في قوله تعالى: (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) والأحقاف الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي.

(٢) أبو يحيى هو زكريا عليهما السلام.

وأنـذرَنَـا نـاراً وَبَـشَّـــــــــرَ جَـنَّـةً وعلَّمَنَا الإِسْـــلامَ فَـــاللهَ نَحْـــمَـــدُ

وبجانب المعاني الإسلامية نجد لحسان معاني قديمة كما في قصيدته التي رد بها على وفد بني تميم والتي مطلعها:

إنَّ الذوائِبَ من فِـــهْـــرٍ وإِخْـــوَتِهِمْ قـــــد بَيَّنُوا سُنَّةً لـلنَّاسِ تُتَّـــبَعُ

وكما في قصيدته التي يمدح بها الزبير بن العوام والتي يقول فيها:

هو الفـــارسُ المشـــهـــورُ والبطلُ الذي يصـــولُ إِذَا مـــا كـــانَ يوْمٌ مُـــحَـــجّلُ

٢ - الهجـاء :

معظم هجاء حسان في قريش قبل أن يدخلوا في الإسلام فقد قال فيهم:

أمّـــا قُـــرَيْشٌ فـــإِنِّي لَسْتُ تارِكَـــهُمْ حـــتّى يُنيـبُـوُا من الغَـيَّـات بالرَّشَـد

ويتـــركُـــوا اللاّتَ العُـــزَّى بِمَـــعْـــزِلَةٍ ويســـجُـدُوا كُلُّهُمْ للواحـد الصَّـمَـد

ويشـــهـــدُوا أنَّ مـــا قـــالَ الرَّسُـــولُ لَهُمْ حقٌّ ويوفُـــوا بعَـــهْـــدِ الله في سَـــدَدِ

وقد أذن النبي ﷺ لحسان بهجاء المشركين ودعا له حيث قال: «اللهم أيّده بروح القدس» وقد استمع النبي ﷺ إلى هجائه ثم قال: «لَهَذا أشدُّ عليهم من وقع النبل» وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: «أمرتُ عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأَحْسَن، وأمرتُ كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسان بن ثابت فشفى واشتفى». وكان حسان لا يهجو قريشاً بالكفر وإنما يهجوهم بالهزائم في الحرب، والطعن في أنسابهم، وقد كان النبي ﷺ يقول: «اهجهم وجبريل معك»، وكان يرسله إلى أبي بكر ليخبره بأنساب قريش. وكان هجاء حسان قاسياً فقد بكى الحارث بن عوف المري حين قال فيه حسان:

يَا حَـــارِ مَنْ يَغْـــدُرْ بِذمَّـــةِ جَـــارِه مِنْكُمْ فَـــإِنَّ مـــحـــمـــداً لَمْ يَغْـــدُرِ

إِنْ تَغْـدروا فـــالغَـــدْرُ مِنْكُمْ شَـــيْـــمَـــةٌ والغَـــدْرُ يَنْبُتُ في أصُـــولِ السَّـــخْـــبَـــرِ

واعتذر الحارث بن هشام عن فراره في يوم بدر وتَرْك أخيه أبي جهل يقتل؛ لأن حسان رضي الله عنه قال فيه:

إن كُنْتِ كـــاذبةَ الذي حـــدَّثْتِني فَنَجَـــوتِ مَنْجَى الحـــارثِ بن هِشَـــامِ

تَرَكَ الأحِـــبَّـــةَ أنْ يُقَـــاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَـــا بِرأسِ طِمِـــرَّةٍ ولِجَـــامِ[1]

٣ - الرثـاء :

لحسان رضي الله عنه قصائد في رثاء الرسول ﷺ تعبر عن اللوعة والحزن ولكن تلك القصائد لا تصل إلى مستوى الحدث الكبير وهو موت الرسول ﷺ، ومن أجود مراثيه في الرسول ﷺ قصيدته التي مطلعها :

بطيـبـةَ رسمٌ للرسـولِ ومـعـهـدُ منيـرٌ، وقـد تعـفـو الرسـومُ وتَهْـمَـدُ

وأيضاً قصيدته التي مطلعها :

مـا بالُ عَـيْنكَ لا تَنَامُ كَـأنّمَـا كُـحِلَتْ مـآقِـيْـهَـا بكُحْلِ الأرْمَـدِ

وقد رثى حسان أبا بكر وذكر موقفه الذي لا ينسى حين رافق النبي ﷺ في هجرته، وقد رثى عثمان بمراث محزنة، ومعظم رثاء حسان مشتمل على المواقف الإسلامية الخالدة التي يتحلى بها المرثي.

وقد أحسن حسان في الاعتذار حيث اعتذر لعائشة رضي الله عنها عندما نسب إليه كلام لم يقله، والأبيات التي قالها في الاعتذار تبين لنا أن حسان من المبرزين في هذا الغرض يقول رضي الله عنه :

حَـصَـانٌ رزانٌ مـا تُزَنُّ بِريبَـةٍ وتُصْـبِحُ غَـرْثَى من لُحُـومِ الغَـوَافِلِ[2]

فَـإنْ كُنْتُ قـد قُلْتُ الذي قـد زَعَـمْـتُمُ فـلا رَفَـعَـتْ سَـوْطي إليَّ أنَاملي

وكَـيْـفَ ووُدِّي من قَـدِيْمٍ ونُصْـرَتِي لآل رسـولِ الله زين المَحَـافِلِ

هذه هي الأغراض التي طرقها حسان في الجاهلية والإسلام، فمعانيها مختلفة حيث تبرز المعاني الإسلامية في شعره الإسلامي، كما تظهر معاني الجاهلية في شعره الجاهلي.

---

(١) الطمرة: المستفزة للوثب والعدو من أنثى الجياد.

(٢) حصان : عفيفة. رزان : ذات وقار. تزن : تتهم. غرثى : جائعة: أي إنها لا تغتاب النساء.

قصيدة حسان بن ثابت في رثاء الرسول ﷺ

١ – بِطِيْبَةَ رسمٌ للرسولِ ومَعْهَدُ ... منيرٌ وَقَدَ تعفُو الرُّسومُ وتَهْمَدُ

٢ – ولا تَنْمحِي الآياتُ من دارِ حُرْمَةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كَانَ يَصْعَدُ

٣ – وواضحُ آياتٍ وباقي معالمٍ ... وربعٌ له فيه مُصَلّى وَمَسْجِدُ

٤ – بها حُجُرَاتٌ كان يَنْزِلُ وَسْطَهَا ... مِنَ اللهِ نورٌ يُسْتَضَاءُ ويُوقَدُ

٥ – مَعَالِمُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا البِلى فالآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ

٦ – عَرَفْتُ بَهَا رَسْمَ الرسولِ وعَهْدَهُ ... وقَبْراً بِهِ واراهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ

٧ – ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكي الرسولَ فأَسْعَدَتْ ... عُيُونٌ وَمَثْلاهَا مِنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ

٨ – تَذَكَّرُ آلاءَ الرَّسُولِ ، وَمَا أرَى ... لَهَا مُحْصِياً نَفْسي فَنَفْسي تَبَلّدُ

٩ – مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقَدُ أَحْمَدٍ ... فَظَلّتْ لآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ

١٠ – أَطَالَتْ وُقُوفاً تَذْرِفُ العَيْنُ جُهْدَهَا ... على طَلَلِ القَبْرِ الذي فيه أَحْمَدُ

١١ – فَبُورِكْتَ يا قَبْرَ الرَّسُولِ وبُورِكَتْ ... بِلاَدٌ ثَوىٰ فِيْهَا الرَّشِيْدُ المُسَدَّدُ

شرح الأبيات :

(١) طيبة : المدينة المنورة . رسم: أثر باقٍ . المعهد : المنزل المعروف . تعفو : تزول . تهمد : تبلى .

إذا كان رسول ﷺ قد اختاره الله إلى جواره فإن آثاره باقية في المدينة يحيط بها النور الذي يبيقها واضحة إذا زالت الآثار الأخرى وانطمست .

(٢) الآيات : العلامات . دار الحرمة: مالا يحل انتهاكه.

والآثار معرضة للزوال. ولكن آثار الرسول ﷺ في دار لا يحل انتهاكها وهي المدينة المنورة حيث تشتمل على المنبر الذي كان مصدر إشعاع وهداية للبشر .

(٣) الربع : المنزل .

إن العلامات الدالة على مكان إقامته ﷺ واضحة ، فمنزله ومسجده وأماكن صلاته كلها تذكر بما للنبي ﷺ من المنزلة في نفوس المسلمين.

(٤) إن طيبة تضم حجرات الرسول ﷺ التي كان يشع منها نور الإيمان فيهدي الناس إلى الخير ويبعدهم عن الشر.

(٥) تطمس : تمحى . العهد : المعرفة . البلى : القِدم .

إذا كان الموت قد خيم على تلك المعالم حيث دفن الرسول ﷺ فإن علامات الإيمان باقية وهي تتجدد يوماً بعد يوم .

(٦) واراه: أخفاء وستره .

لقد عرفت الرسول حياً يرشدنا إلى الخير ، وعرفته ميتاً تعظنا آثاره ورسومه فقبره يذكرنا بما كان يقوله لنا في حياته.

(٧) لقد استولى عليَّ الحزن عندما طفت بالأماكن التي كان يرتادها رسول هٰذه الأمة فقد انهمرت الدموع من عيني ، ومثل عيني تؤاتي بالدموع وتسعف به .

(٨) آلاء: نِعم . تبلد : تتحير .

كيف لا ينهمر الدمع بغزارة على نبي حباه الله من النعم مالا يعد ولا يحصى، فلو أردت أن أعد تلك النعم لما استطعت لها عدا .

(٩) شفها: يقال شفّه الهم أي أهزله .

إذا كانت نفسي قد أصابتها الأرزاء، فإن هذه المصيبة التي حلت بنا أعظم من أيَّ مصيبة ومما يدل على ذلك هذا الهم الذي أهزل جسمي فلم يبق أمامي إلا أنْ أعدد نعم الرسول ﷺ .

(١٠) تذرف : تسيل الدمع . جهدها : طاقتها أي أكثرما تستطيع . طلل: هو الشاخص من آثار الديار .

(١١) المسدد : الذي وفقه الله للسداد والصواب .

وإذا كان لي من دعاء لقبر نبينا وللبلد الذي يضم ذلك القبر فإنني أطلب من الله أن ينعم على تلك بالخير العميم والبركة الدائمة .

كعب بن زهير

حياته

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، نشأ وعاش في قبيلة غطفان مع أبيه زهير، ومساكنهم فيما يعرف اليوم بعقلة الصقور وما حولها من الناحية الغربية حتى ضواحي يثرب من الناحية الشرقية ، وكان كعب يتجول في هذه البلاد مع أخيه بجير ويرعيان أغنامهما ، وقد سمعا بأمر الرسول ﷺ، وبينما كعب وأخوه بجير يقيمان في مكان يعرف بأبرق العَزَّاف وهو أقرب موضع إلى المدينة من بلاد غطفان قال بجير لكعب : اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل ـ يعني النبي ـ فأرى ما عنده فثبت كعب ، وذهب بجير والتقى بالرسول ﷺ فدخل قلبه الإيمان وأسلم وبقي مع الرسول ولم يعد إلى كعب ، وعندما علم كعب بخبر بجير أرسل إليه هذه الأبيات :

ألا أبلغَا عنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فهل لَكَ فيما قلتَ ويحَكَ هل لَكا

سقاكَ بِها المأمونُ كأساً روَيَّةً ... وأنهلَكَ المأمونُ منهَا وعلَّكا

ففارقْتَ أسبابَ الهُدَى واتّبَعْتَهُ ... على أيِّ شيءٍ – ويْبَ غَيْرِكَ – دلَّكَا[1]

على مذهبٍ لَمْ تُلفِ أُمّاً ولا أباً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تعْرِفْ عَلَيْهِ أَخًالكَا

فلما قرأ بجير هذه الأبيات أخبر النبي ﷺ بما جاءه من كعب ، فغضب النبي ﷺ وأهدر دمه وقد رد بجير على كعب بالأبيات التالية :

فمن مبلغ كعباً فهل لكَ في التي ... تلومُ عليها باطلاً وهي أحْزَمُ

إلى الله لا العُزَّى ولا اللّاتِ وحْدَه ... فتنجُو إذا كَانَ النَّجاءُ وتَسْلَمُ

لدى يوم لا ينجُو وليس بمُفلتٍ ... من النَّار إلا طاهرُ القَلْب مُسْلِمُ

فدينُ زُهيرٍ – وهو لا شيءَ – باطلٌ ... ودينُ أبي سُلْمى عليَّ مُحَرَّمُ

وقال في رسالة بعث بها إليه : إن النبي ﷺ قتل رجالاً ممن آذَوا الإسلام والمسلمين وإني أنصحك بالإسلام، وقد أخبر بجير كعباً بأن الرسول ﷺ يقبل إسلام المرء ولا ينظر إلى ماضيه.

---

(١) ويب غيرك : هلكت مثل غيرك .

وعندما ضاقت الأرض بكعب أقبل على الرسول ﷺ مسلماً في أول السنة التاسعة من الهجرة، ويقول كعب: عندما وصلت إلى باب المسجد أنخت راحلتي ودخلت المسجد فوجدت الناس حلقات حول الرسول ﷺ فعرفت الرسول بصفته فدنوت منه وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، الأمان يارسول الله ، قال : من أنت ؟ قلت : كعب بن زهير، قال : الذي يقول ما يقول ! ثم عفا الرسول ﷺ عنه، واستأذنه كعب ثم ألقى قصيدته (بانت سعاد) التي مطلعها:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليومُ متبولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ

وقد استمع النبي ﷺ إلى قصيدته واستحسنها فخلع عليه بردته ، وهي شملة يشتمل بها الرسول ﷺ وقد توفي كعب سنة ٢٦هـ.

شعره :

شعر كعب بن زهير من أجود الشعر فقد جمع بين الطبع والتنقيح ، أما الطبع فإنه ينتسب إلى أسرة فيها كثير من الشعراء والشاعرات ، فوالده زهير شاعر مشهور ، وجده ربيعة بن رياح شاعر ، وأخوه بجير شاعر ، وابنه عقبة شاعر ، وعمته سلمى شاعرة ، وعمته الخنساء شاعرة، وقد اعتنى به والده منذ طفولته فعلمه الشعر، ولما رأى والده أنه يرغب في قول الشعر أراد أن يختبره فأخذه على ظهر جمل وبدأ زهير يقول البيت من الشعر ثم يطلب من ابنه كعب أن يأتي ببيت بعده ، فلا يلبث كعب أن يأتي بالبيت المطلوب فاطمأن زهير إلى أن ابنه شاعر وأنه يستطيع أن يقول الشعر الجيد .

(أ) شعره في الجاهلية :

اشتُهر كعب في الجاهلية، وعُدَّ من شعرائها المقدمين، وقد قال الشعر في أغراض مختلفة منها: الفخر؛ فقد فخر بشعره وبأصله في مزينة، وقال في الهجاء فقد كان يهجو زيد الخيل، ثم هجا المسلمين، وخص أخاه بجيراً ببعض الهجاء، وقال في الغزل أيضاً، وكان يبدأ به قصائده ، والوصف، ووصفه قريب من وصف والده زهير.

والمعاني التي قال فيها شعره في الجاهلية هي المعاني المتداولة بين الشعراء . أما أسلوبه فقد اشتهر بالتنقيح حيث سار على طريقة أبيه في اختيار الألفاظ وجودة سبكها.

(ب) شعره في الإسلام :

لم يتأثر شعر كعب بن زهير بالإسلام كثيراً كما تأثر شعر غيره من الصحابة، فقد بقي على طريقته في الجاهلية في اختيار معظم معانيه وفي اختيار ألفاظه ، فمن المعروف أن الإسلام يرقق عواطف الشاعر فيرق شعره وإذا تتبعنا شعر كعب الإسلامي وجدناه لا يختلف كثيراً عن شعره الجاهلي إلا في بعض المعاني الإسلامية ، وقد قال كعب شعره الإسلامي في الأغراض التالية :

١ - المدح :

سبق كعب بن زهير غيره من شعراء الإسلام بقصيدته (بانت سعاد) التي مدح بها الرسول ﷺ والصحابة ، فقد أعجب الرسول ﷺ بمدح كعب فعندما سمع قوله :

إن الرسول لنورٌ يُستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلولُ

في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا[1]

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل[2]

أشار الرسول ﷺ إلى الناس من حوله أن يستمعوا شعر كعب، وقد خلع النبي ﷺ بردته وأعطاها إياه، وقد اشتهرت هذه القصيدة على امتداد التاريخ الإسلامي، وهذا يدل على جودة معانيها وقوة أسلوبها مضمونها، ولكعب قصائد في المدح التي قالها بعد إسلامه ولكنها لا تصل إلى درجة (بانت سعاد) ومن قصائد المدح التي قالها في الإسلام قصيدته في مدح الأنصار ومنها:

من سرَّهُ كرمُ الحياة فلا يَزَلْ ... في مَقْنَبٍ من صالحي الأنْصار[3]

البـاذلين نفوسَهُمْ لِنَبَيِّهم ... عند الهياجِ وَسَطْوَةِ الجَبّارِ

---

(١) العصبة : الجماعة من العشرة إلى الأربعين . زولوا : هاجروا .

(٢) أنكاس : ضعفاء . الأكشف : من ليس معه ترس . الأعزل من لا رمح معه .

(٣) المقنب : الجماعة من الفرسان دون الألف .

٢ - الهجاء :

هجاء كعب بن زهير في الإسلام يبتعد عن السب والتجريح ، فهو ينتهج منهج التعريض ويبتعد عن ذكر الأسماء ، وهذا الطريق الذي سلكه في الإسلام يختلف عن الطريق الذي سار فيه في جاهليته ؛ فقد كان هجاؤه في الجاهلية قاسياً وصريحاً .

ومن تلطفه في الهجاء وابتعاده عن ذكر الأسماء وعن السب الصريح قوله :

إنْ كُنْتَ لا تَرْهَبُ ذمِّي لما ... تَعْرِفُ من صَفْحي عن الجاهلِ

فاخْشَ سكوتي إذْ أَنَا مُنْصِتٌ ... فيكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا القائِلِ

٣ - الحكم والمواعظ :

ليس غريباً على كعب بن زهير أن يتقدم على غيره في هذا الغرض ، فوالده زهير جعل آخر معلقته حكماً متوالية ، وحكم كعب تختلف عن حكم والده فهي حكم ومواعظ وجّه الإسلام معظمها فتحولت إلى عظات ترقق القلوب . فمن حكمه قوله :

كُلُّ ابنِ أُنثى وإنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ ... يوماً على آلةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

ومن الحكم التي تعظ القلوب :

لو كُنْتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَدَرُ

يسعى الفَتى لأمور ليس يُدْرِكُها ... فالنفسُ واحدةٌ والهم مُنْتَشِرُ

والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ ... لا تَنْتَهي العينُ حتى يَنْتَهِي الأثَرُ

وقوله :

والسّامعُ الذّامّ شَرِيكٌ لَهُ ... ومُطْعِمُ المأكُولَ كالآكِلِ

مُقالَةُ السُّوءِ إلى أهْلِها ... أسرعُ من مُنْحَدِرٍ سَائِلِ

ومن دعا الناسَ إلى ذَمِّهِ ... ذَمُّوهُ بالحقِّ وبالباطِلِ

قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار

١ – من سَرَّهُ كرمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... في مقْنَبٍ من صَالِحي الأنْصَارِ

٢ – تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً أحْلاَمُهُمْ ... وَأَكُفُّهُمْ خَلَفٌ مِنَ الأمْطَارِ

٣ – المُكْرِهينَ السَّمْهَرِيَّ بأَذْرُعٍ ... كَصَواقلِ الهِنديِّ غَيْرِ قِصَارِ

٤ – والناظرينَ بأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الأبْصَارِ

٥ – والذَّائدينَ النَّاسَ عَنْ أدْيَانِهِمْ ... بالمَشْرفيِّ وبالقَنا الخَطَّارِ

٦ – والباذلينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... يَوْمَ الهِيَاجِ وَسَطْوَةَ الجَبَّارِ

٧ – دَرِبوا كَمَا دَرِبَتْ أسودُ خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الأُسُودِ ضَوَارِي

٨ – وهُمُ إذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ ... للطائِفينَ السَّائِلينَ مَقَارِي

٩ – المُطْعِمُونَ الضَّيفَ حين يَنُوبهمْ ... من لَحْمِ كومٍ كالهِضَابِ عِشَارِ

١٠ – والمُنْعِمُونَ المُفْضِلُونَ إذَا شَتَوْا ... والضَّارِبُونَ عِلاَوَةَ الجَبَّارِ

مناسبة القصيدة :

عندما أهدر النبي ﷺ دم كعب بن زهير في الفترة التي كان يسب فيها الإسلام والمسلمين كان الأنصار هم الذين يبحثون عنه حتى ضيقوا عليه ، وبعد أن هداه الله للإسلام وقال قصيدته المشهورة في مدح الرسول والمهاجرين لم يذكر الأنصار في تلك القصيدة بل عرض بهم في قوله :

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرَّدَ السود التنابيل [1]

وقد استاء الأنصار من ذلك ، واستاء المهاجرون وقالوا إن مدحاً لا يشمل إخواننا الأنصار إنما هو ناقص، وقد سمع كعب بن زهير ذلك الحديث فعزم على إنشاء هذه القصيدة.

---

(١) الزهر : البيض . يعصمهم : يمنعهم . عرّد : فر وأعرض . التنابل : جمع تنبال وهو القصير

شرح الأبيات :

(١) المقنب : مادون الألف من الفرسان .

من أراد أن يتمتع بالحياة الكريمة فليكن في مجموعة صالحة من الأنصار تحميه عند الحاجة وتشد عضده .

(٢) إن عقول الأنصار تعادل الجبال في كبرها وعظمها، وهم كرماء فأيديهم خلف من المطر ؛ لأنها تجود بالمال والعطاء الكثير عندما تقل الأمطار ويصيب الناس القحط والجدب .

(٣) السمهري : الرمح القوي . وسمهر اسم رجل تنسب له الرماح وكان يبيع الرماح القوية في الخط (القطيف) . صواقل الهندي : السيوف .

إن أولئك الرجال يحملون الرماح القوية بأذرع تكرهها على الطعن وتدفعها إليه لأن تلك تشبه سيوف الهند وهي طويلة تساعد على دفع الرمح بقوة .

(٤) الكليلة : ضعيفة النظر .

إنهم ينظرون إلى أعدائهم بأعين تشبه الجمر المتوقد من شدة الغيظ وشهوة اللقاء، وتلك الأعين حادة البصر غير ضعيفة .

(٥) المشرفي : المشرفية السيوف المنسوبة إلى المشارف وهي قرى في أطراف الريف من جهة البادية سواء كانت في الشام أو في اليمن . الخطار : الذي إذا هز تتابعت أجزاؤه في اضطراب منتظم .

لقد جاهد الأنصار في سبيل الله وقاتلوا العرب حتى دخلوا في دين الإسلام .

(٦) الهياج : الحرب . السطوة : القهر والبطش .

والأنصار لا يبخلون بنفوسهم وإنما يبذلونها في سبيل طاعة الرسول ﷺ عندما يأمرهم بحرب أعداء الإسلام الذين يحاولون قهر المسلمين والبطش بهم .

(٧) دربوا : اعتادوا . خفية : موضع في اليمامة تكثر به الأسود . غلب الرقاب : غلظ الرقاب ، ضواري : معتادة .

إن اعتياد الأنصار على خوض الحروب يشبه اعتياد أسود « خفية » على أكل اللحوم والافتراس .

(٨) خوت النجوم : لم ينزل فيها مطر. مقاري: يقرون الناس أي يكرمونهم.

الأنصار يبذلون أموالهم في زمن الشدة وتوقف الأمطار ؛ فهم يقرون السائل والطائف بهم فيجعلون أولئك ينزلون بساحتهم .

(٩) ينوبهم : يأتيهم . الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السنام . العشراء : التي أمضت عشرة أشهر من حملها .

والأنصار كرام فهم ينحرون الإبل العشار ذوات الأسنمة العظيمة عندما يحل بساحتهم الضيف .

(١٠) العلاوة : العنق .

إن الأنصار يشتهرون بالكرم في وقت الشدة وهو الشتاء، ويشتهرون بضرب عنق الجبار في المعارك ، فهم يجمعون بين الكرم والشجاعة .

مناقشة

١- وازن بين مدح حسان بن ثابت في الجاهلية ومدحه في الإسلام.

٢- لماذا كان هجاء حسان لقريش أشد من هجاء غيره مستشهداً لذلك بشيء من شعره.

٣- كيف تم إسلام كعب بن زهير؟

٤- تحدث عن قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) مبنياً سبب شهرتها.

٥- اذكر بعضاً من أبيات كعب بن زهير في الحكمة.

النثر في عصر صدر الإسلام

النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام يتمثل في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثَمَّ التأثير في الناس، على أن الخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة.

الخطابة

الرسول ﷺ معدود من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وعندما بعث أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ونبذ الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطب الرسول ﷺ في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حدثت الخصومة بين النبي ﷺ وأهل مكة.

ومن خطبه ﷺ في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: «إن الرائد لايكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة».

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج.

أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة، ومن تلك الخطب خطبة أبي بكر في يوم السقيفة، وخطبة عمر يوم تولى الخلافة، ولعلي ابن أبي طالب خطب بليغة في مناسبات كثيرة.

والخطابة في العصر الإسلامي تختلف عن خطب الجاهلية؛ فالخطبة الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتتميز بسهولة الأسلوب، وضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ويعتمد على عصا. ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

نماذج من الخطابة

١- من خطبة النبي ﷺ بالخيف في منى:

روى زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ خطب بالخيف من منى فقال: «نَضَّرَ الله عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها إلى من لم يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لافقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لايُغِلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة. إن دعوتهم تكون من ورائه. ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»[١].

٢- خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

«أما بعد، فإني وَليتُ أمركم ولست بخيركم، ولَكِنْ نزل القرآن وسنَّ النبيُّ ﷺ وعَلَّمَا فَعَلِمْنَا.

واعلموا أن أكْيَسَ الكيْسِ التُّقَى[٢]، وأن أحمقَ الحُمْقِ الفُجور، وأن أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.

أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زُغْتُ[٣] فَقَوِّمونِي. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم»[٤].

---

(١) إعجاز القرآن ١٣٢.

(٢) الكيس: الفطنة والذكاء.

(٣) الزيغ: العدول عن طريق الحق.

(٤) عيون الأخبار ٢ / ٢٣٤.

٣ من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

«اقرؤوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنه لم يبلغ حقُّ ذي حقٍّ يطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم: إن استغنيتُ عَفَفْتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، تَقَرُّمَ البَهْمَةِ الأعرابية: القَضْمَ لا الخَضْمَ»[1].

٤ خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما أغارت جيوش معاوية على أطراف العراق وذلك بعد التحكيم:

«أيها الناس المجتمعةُ أبدانُهم، المختلفةُ أَهواؤكُمْ، كلامكم يُوهي الصُّمَّ الصِّلاَب[2]، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كيتَ وكيت[3]، فإذا جاء القتالُ قلتم حِيدي حَيَاد[4]، ما عزَّت دعوةُ من دعاكم ولا استراح قلبُ من قاساكم، أعاليلُ بأضاليل! سألتموني التأخير دِفاع ذي الدَّيْن المَطُول، هيهاتَ لايمنَعُ الضَّيْم الذليلُ، ولا يُدْرَكُ الحقُّ إلا بالجد، أيُّ دار بعد داركم تمنعون، أم مع أيِّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غَرَرْتُمُوهُ، ومن فاز بكم فقد فاز بالسَّهْم الأخْيَب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفْوَقَ ناصِل[5]، أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم، ما بالكم! القوم رجال أمثالكم، أقوالاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق؟ فرق الله بيني وبينكم وأعقبني بكم من هو خير لي منكم».

٥ خطبة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

«أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرَى كلمة التقوى، خير المِلَل ملةُ إبراهيم، وأحسن السُّنن سنة النبي محمد ﷺ، خير الأمور أوسطها، وشر الأمور محدثاتها، ما قل وكفى خير مما كثر

---

(١) تقرم: أكل أكلاً ضعيفاً. القضم: الأكل بأطراف الأنسان. الخضم: الأكل بأقصى الأضراس. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٢) يوهي: يضعف. الصم الصلاب: الحجارة الصلبة القوية.

(٣) كيت وكيت: كذا وكذا.

(٤) حيدي حياد: كلمة يقولها الفار من القتال.

(٥) أفوق ناصل: سهم كسر أعلاه أي لانصل فيه. والخطبة في البيان والتبين ٢/٥٤.

وألهى، خير الغنى غنى النفس، وخير ما أُلقى في القلب اليقين، الخمر جِمَاع الإثم، النساء حِبَالَةُ الشيطان[1]، الشباب شعبة من الجنون، حب الكفاية مفتاح المَعْجَزَةِ[2]، من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبُراً ولا يذكر الله إلا هُجْرا[3]، أعظم الخطايا اللسان الكذوب، سباب المؤمن فسق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، من يَتَأَلَّ على الله يُكْذِبْهُ[4] من يَغْفِرْ يُغْفَرْله. مكتوب في ديوان المحسنين: من عفا عُفِيَ عنه، الشقي من شقي في بطن أُمه، والسعيد من وُعظ بغيره، الأمور بعواقبها، ملاك العمل خواتيمه، أشرف الموت الشهادة، من يعرف البلاءَ يصبرْ عليه، ومن لا يعرف البلاء يُنْكِرْه».

---

(١) الحبالة: التي يصاد بها.

(٢) المعجزة: العجز.

(٣) الهجر: هجران القلب وترك الإخلاص في الذكر.

(٤) من يتألَّ على الله: أي من يحكم على فلان بدخول الجنة أو النار. والخطبة في إعجاز القرآن ١٤٧ والبيان والتبيين ٢ / ٥٦.

الرسائل

كانت الكتابة معروفة في مكة قبل بعثة الرسول ﷺ ولكنها قليلة جداً، وعندما نزل القران الكريم حث على الكتابة فقد قال تعالى: « يا أيُّها الذين آمنُوا إذا تداينْتُم بِدَينٍ إلىَ أَجَلٍ مُسَمّى فاكتُبُوه »[1].

والكتابة الفنية في عهد الرسول ﷺ تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابة الرسائل امتداد للحديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خالية من عبارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـ (من عبدالله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشمل الرسائل في عهد الرسول ﷺ: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرسائل إلى عمال الدولة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترسل من الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كما أنها تشمل ما يُوجَّه إلى عامة المسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تختلف عما كانت عليه في زمن الرسول ﷺ إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل عمر أو رسائل عليّ رضي الله عنهما.

نماذج من الرسائل

رسالة النبي ﷺ إلى ملك فارس:

« من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا أله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله تعالى، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين. فأَسْلِمْ تَسْلَمْ »[2].

---

(١) سورة البقرة آية٢٨٢.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي:

«من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة:

سِلْمٌ أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول[1] الطبية، فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لاشريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، فقد بَلّغْتُ ونصحت، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى»[2]

رسالة أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم

«سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مُهِمٌّ، فأصبحت وقد وُلِّيتَ أمر هذه الأمة أَحمَرِهَا وأَسْوَدِها، يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فإنا نحذرك يوماً تعنو فيه الوجوه، وتجب[3] فيه القلوب. وإنا كنّا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها: أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن تُنْزِلَ كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنا إنما كتبنا إليك نصيحة لك، والسلام»[4].

---

(١) البتل: القطع وسميت مريم البتول لأنها قطعت عن الرجال.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

(٣) وجب القلب: خفق واضطرب.

(٤) إعجاز القران ١٣٩.

كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في القضاء :

«من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس: سلام عليك.

أما بعد. فإن القضاءَ فريضةٌ محكمة وسنةٌ متبعة، فافهم إذا أُدْلِي إليك، فإنه لاينفعُ تكَلُّمٌ بحق لانَفاذَ له.

آس بين الناس في وجهِك وعدلِك ومجلِسِك، حتى لايطمعَ شريفٌ في حَيفك، ولاييأسَ ضعيفٌ من عدلك[1]

البَيِّنةُ على من ادَّعى واليمينُ على من أنكر، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين إلا صلحاً أَحلَّ حراماً أو حرم حلالاً. ولايمنعك قضاءٌ قضيتَه بالأمس – فراجعت فيه عقلك، وهديت لرشدك – أن ترجع إلى الحق، فإن الحقَ قديمٌ ومراجعةُ الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

الفَهْمَ الفَهْم، فيما تَلَجْلَجَ في صدرك[2] مما ليس في كتاب ولاسنة، ثم اعرف الأشباهَ والأمثال، وقِسِ الأمورَ عند ذلك واعمِد إلى أشبهها بالحق.

واجعل لمن ادَّعى حقاً غائباً أو بينةً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضَرَ بينةً أخذتَ له بحقه، وإلا استَحْللتَ عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى لِلْعَمَى[3].

المسلمون عُدول بعضُهُم على بعض، إلا مَجْلُوداً في حدٍّ، أو مجرَّباً عليه شهادةُ زور، أو ظنيناً في ولاءٍ أو نسب[4]، فإن الله تولّى منكم السرائرَ ودرَأَ بالأيمان والبيِّنات[5].

---

(١) آس بين الناس ... : أي سوِّ بين المتخاصمين في بشاشة وجهك وعدلك.

(٢) تلجلج : تردد.

(٣) أجلى للعمى : أوضح للأمر المبهم.

(٤) الظنين : المتهم.

(٥) درأ : دفع.

وإياك والغَلقَ والضَّجَرَ[1] والتأذِّي بالخصوم، والتنكُّر عند الخصومات، فإن الحقَ في مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجر، ويحسنُ به الذُّخْر، فمن صحَّتْ نيتُه وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلَّقَ للناس بما يعلمُ الله أنه ليس من نفسه شانَهُ الله، فما ظنك بثوابِ الله عزوجل في عاجل رزقهِ وخزائنِ رحمتِه. والسلام».

(١) الغلق: ضيق الصدر. الضجر: قلة الصبر.

مناقشة

١ – تحدث عن أهمية الخطابة في عصر صدر الإسلام.

٢ – تحدث عن الرسائل في هذا العصر، واذكر أهم ما يميزها.

الأدب في العصر الأموي

يبتدئ العصر الأموي بخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١هـ بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له عن الخلافة، وينتهي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية.

وفي هذا العصر ازدهرت اللغة والأدب، فاتسعت مدلولات اللغة ودخلتها مصطلحات جديدة بسبب اتساع الدولة الإسلامية وكثرة احتياجاتها.

وسنتحدث فيما يلي عن الشعر والنثر وتطورهما في هذا العصر.

الشعر

ازدهر الشعر في العصر الأموي، ونفقت سوقه بسبب إجزال الأمويين العطاء للشعراء، وشيوع العصبية القبلية، كما كان لقيام الطوائف السياسية من شيعة وخوارج وزبيريين أثره الكبير في الأدب؛ فلقد كان لهذه الطوائف شعراء وخطباء ينافحون عنها، ويمدحون زعماءها، ويهجون مناوئيها، مما دفع بعجلة الأدب إلى الأمام.

أغراض الشعر

حافظ الشعراء على أغراض الشعر القديمة من مدح وفخر وهجاء ورثاء وغزل ووصف ، وإن تأثرت هذه الأغراض بحضارة العصر الأموي التي تختلف عن العصر الجاهلي.

وقد جدت أغراض جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي؛ ومن تلك الأغراض : الشعر السياسي والغزل العذري وأنواع من الوصف، مثل وصف البلاد المفتوحة وما فيها من أنهار وقصور وحدائق ومعابد، وبما أن الأغراض الشعرية في هذا العصر كثيرة ومتعددة فإننا سنتناول بعض هذه الأغراض .

الشعر السياسي:

عندما اندلعت الفتنة في زمن عثمان كانت إيذاناً باستمرار النزاع بين المسلمين، فقد قام معاوية يطالب بدم عثمان، وقد اختار المسلمون علياً خليفة للمسلمين ولكن خلافته لم تدم طويلاً بسبب

النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما، وقد أدى ذلك النزاع إلى التحكيم الذي برز بسببه الخوارج، وبعد مقتل علي رضي الله عنه تولى الخلافة ابنه الحسن، ثم تنازل لمعاوية حقناً لدماء المسلمين.

وقد استاء أنصار علي من الحكم الأموي، وبرز الشيعة الذين يرون أن علياً وبنيه هم الأحق بالخلافة، ولكن الشيعة لم يستطيعوا مصارعة الأمويين، كما قام عبد الله بن الزبير الذي لم يبايع ليزيد بن معاوية، ودعا لنفسه بالخلافة، فبايعه كثير من المسلمين، وقوي نفوذه وتوالت انتصاراته، إلى أن قُضي عليه في عهد عبد الملك بن مروان.

هذه الاتجاهات واكبها الشعر فكان لسانها الناطق الذي يذود عنها ويهاجم أعداءها، فالأمويون هم أصحاب الدولة، ولذا كان أكثر ألسن الشعراء معهم. ومن أبرز الشعراء الذين يدافعون عن الأمويين الأخطل فهو يقول فيهم:

حُشْدٌ على الحقِّ عيافُوا الخَنَا أُنُفٌ ... إذَا أُلَمّتْ بهم مكروهةٌ صبرُوا[1]

وإنْ تَدَجَّتْ على الآفاق مُظْلِمَةٌ ... كان لهم مخرجٌ منها ومُعْتَصَرُ[2]

شُمْسُ العداوَةِ حتى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وأعظمُ النّاسِ أحلاماً إذَا قَدَروا[3]

والشيعة لَهُمْ شُعراؤهم، ومن أبرزهم الكميت بن زيد الأسدي الذي يقول في بني هاشم:

بَني هَاشِمٍ رَهْطَ النَّبيِ فَإنَّني ... بِهِمْ ولَهُمْ أرْضى مِراراً وأَغْضَبُ

خَفَضْتُ لهم مِنيٍّ جَنَاحَيْ مَوَدَّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أَهْلٌ ومَرْحَبُ

وكنتُ لَهُمْ من هؤلاءِ وهؤلا ... مجِنَاً على أني أُذَمُّ وأُقْصَبُ[4]

وأُرْمَى بالعَداوَةِ أَهْلَهَا ... وإني لأُوذَى فيهمُ وأُؤَنَّبُ

---

(١) حشد على الحق: يحشدون جنودهم دفاعاً عن الحق. الخنا: الفحشاء.

(٢) تدجت: أظلمت. المعتصر: الملجأ.

(٣) شمس: جمع شموس أي عسير، ومعنى «شمس العداوة حتى يستقاد لهم»: أي انهم ينكلون بأعدائهم ماداموا يثورون عليهم ويعصونهم.

(٤) أقصب: أشتم.

والخوارج فئات كثيرة ولهم شعراؤهم ويتميز شعرهم بالحماسة. وقد ناصبوا الدولة الأموية العداوة.

وقد أشاد شعراء الزبيريين بانتصارات مصعب بن الزبير في العراق، ومن أبرز شعراء الزبيريين عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول في مصعب:

إنّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ من اللّه ... تَجَلتْ عن وجهِهِ الظّلْمَاءُ

مُلْكُهُ مُلكُ عِزَّةٍ ليس فيه ... جبروتٌ ولا به كِبْرِيَاءُ

المدح:

اهتم الخلفاء والأمراء بتأييد الشعر لأن الشعر يهيمن على النفوس ويتناقله الناس بيسر وسهولة، فلا تجد مجلساً من المجالس إلا ويذكر فيه الشعر، وبنو أمية يعرفون سلطان الشعر علي نفوس العرب، وهم في أمَسِّ الحاجة إلى الإشادة بهم وتأييدهم أمام خصومهم الكثيرين من شيعة وخوارج وزبيريين.

والمدح في العصر الأموي لم يقتصر على بني أمية وقوادهم ولكن المديح الذي قيل في هؤلاء يمثل نسبة عالية من المديح الذي قيل في العصر الأموي، وشعر المدح يقال عادة في الخليفة والأمراء والقواد.

ومن أشهر شعراء المدح في هذا العصر: الأخطل وجرير والفرزدق وذو الرمة ونُصيب[1] وليلى الأَخْيَلِيَّة[2] وأبو نخيلة[3] وزياد الأعجم[4]. والمعاني التي قال فيها هؤلاء الشعراء مديحهم لا تختلف كثيرا عن معاني المدح في العصر الجاهلي من شجاعة وكرم ووفاء وحلم ونجدة ومروءة ونبل.

---

(١) هو نصيب بن رباح من شعراء الدولة الأموية توفي سنة ١٠٨هـ

(٢) شاعرة أموية توفيت سنة ٨٠هـ.

(٣) أبو نخيلة شاعر أموي وهذا هو اسمه فهو أبو نخيلة بن حزن من بني حمان من تميم امتد به العمر حتى قيام الدولة العباسية حيث قتل سنة ١٤٥هـ.

(٤) زياد الأعجم: هو زياد بن سليمان الأعجم من موالي عبد القيس وسمي بالأعجم؛ لأن في لسانه عجمة، نشأ في أصفهان، وعاش في خراسان حيث توفي بها سنة ١٠٠هـ

ومن أبيات المدح التي تجمع كثيراً من المعاني الآنفة الذكر قول زياد الأعجم في عبد الله بن الحشرج الجعدي:

إن السماحةَ والمروءةَ والنّدى ... في قُبّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ

مِلكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ ذُو نائلٍ ... لِلْمُعْتَفِيْنَ يمينُهُ لم تَشْنَجِ[1]

لما أتيتُكَ راجياً لنوالكُمْ ... أَلْفَيْتُ باب نوالكُمْ لم يُرْتَجِ

ويشمل المدح المعاني الإسلامية ولكنها قليلة إذا قيست بالمعاني المتوارثة منذ العصر الجاهلي.

الهجاء:

لما قامت الدولة الأموية على أساس التعصب لبني أمية كان ذلك إيذاناً بفتح الباب على مصراعيه لتعصب العرب لقبائلهم، وبعث ما كانت تعتز به القبائل وتقلل من شأن خصومها التقليديين في الجاهلية، وهذا باب سده الإسلام في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

فالهجاء في العصر الأموي امتداد للهجاء في العصر الجاهلي، فالأصل فيه التقليل من شأن المهجو وإلحاق النقائص به سواء كان فرداً أو قبيلة.

والشعراء الهجاؤون في هذا العصر كثيرون منهم جرير، والفرزدق، وثابت قطنة[2] وغيرهم.

النقائض:

النقائض قصائد ينقض بعضها بعضاً؛ وذلك بأن يقول شاعر قصيدة يفتخر فيها بنفسه وقبيلته ويُعرِّض بشاعر آخر أو يهجو قبيلة ذلك الشاعر، فإذا سمع الشاعر المهجو تلك القصيدة نقضها أي: نقض معانيها بالرد عليها وفضح أكاذيبها. ولابد من اتفاق القصيدتين البادئة بالهجاء والمنقوضة في: البحر، والقافية.

---

(١) المعتفون: الطالبون العطاء. تشنج: تنقبض.

(٢) هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي من الأزد شهد كثيراً من الوقائع في خراسان.

وقد عُرفت النقائض في العصر الجاهلي، ثم توسع فيها شعراء مكة والمدينة قبل فتح مكة، وفي العصر الأموي ازدهر شعر النقائض؛ لوجود مسرح دائم للشعر وهو (سوق المرْبَد) في البصرة، الذي اتخذه شعراء النقائض مكاناً لإلقاء القصائد التي تلحق العار والخزي بالقبيلة المهجوة أو بشاعر تلك القبيلة، ويجد الشاعر في جمهور ذلك السوق خير معين له على التشهير بخصمه. وقد تحولت قصائد النقائض بشعرائها وجمهورها إلى نوع من أنواع التسلية في ذلك السوق الذي تحتشد فيه جموع غفيرة من القبائل العربية.

ومن أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي: جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث المجاشعي، والراعي النميري، ولكن أشهر هؤلاء جرير الذي اشتهر بنقائضه مع الفرزدق والأخطل وغيرهما من شعراء النقائض في عصره.

وأشهر نقائض عرفت في العصر الأموي هي ما كان بين جرير والفرزدق، وقد استمرت النقائض بينهما خمسة وأربعين عاماً، ثم النقائض بين جرير والأخطل وقد استمرت بينهما تسعة عشر عاماً، وأما النقائض بين جرير وسائر الشعراء فهي كثيرة. ونورد هنا بعض الأبيات لأشهر قصيدتين في النقائض بين الفرزدق وجرير ، قال الفرزدق:

فما أنت من قيس فتنبحَ دونها ... ولا من تميمٍ في الرؤوسِ الأعاظِمِ

وهل يابنَ ثَفْرِ الكلب مثلُ سيوفنا ... سيوفٌ ولا قِبْصُ العَديْدِ القُمَاقِمِ[1]

فلو كنتَ منهم لم تعبْ مِدْحَتي لهم ... ولكنْ حِمَارٌ وشيهُ بالقَوَائِمِ

فَيَا عَجباً حتى كُليبٌ تَسُبُّني ... وكانت كليبٌ مَدْرَجاً لِلْمَشَاتِمِ[2]

---

(١) ثفر الكلب : فرج الكلب. قبص: العدد الكثير. القماقم: السيد الكثير الخير.

(٢) كليب: قبيلة جرير. ومعنى الشطر الثاني: أن من أراد شتمها وجد فيها مشتماً.

وقد نقض جرير قصيدة الفرزدق بقصيدة منها:

لَقَـــدْ وَلَدَتْ أُمُ الـفـــرزدقِ فـــاجـــراً ... وجـاءت بوزوارٍ قـصـيـرِ القـوائمِ[1]

ومـــا كـــان جـــارٌ للفـــرزدق مُـــسْلِمٌ ... ليـــأمن قـــرْداً ليلُهُ غـــيـــرُ نائمِ

يُـوَصِّلُ حَـــــبْلَـيْـــــهِ إذَا جَنَّ لـيـلُـهُ ... لِيَـــرْقَى إلى جَـــارَاتِهِ بالســـلالِمِ

وإنِّي وقَـيْـســاً يا ابن قَـيْنِ مُـجَـاشِعٍ ... كـــريمٌ أُصَـفِّي مِـدْحَـتي للأكَـارِمِ[2]

ومن نقائض الأخطل وجرير قول الأخطل في جرير:

إخْـسَـأْ إلَيْكَ كُلَيبُ إنَّ مُـجَـاشِـعـاً ... وأبا الـفـوارس نَهْـشَـلاً أَخَـوانِ

وإذا وردْتَ المـاء كـــــان لِـدارِمٍ ... جُـمَّـاتُهُ وسُـهُـولَةُ الأَعْطَانِ[3]

وإذَا قـــذفتَ أباكَ في مـــيـــزانِـهِمْ ... رَجَـحُـوا وشـالَ أبوكَ في المِيـزَانِ[4]

وقد نقضها جرير بقوله:

ياذَا العَـبَـاءة إنَّ بِشْـراً قَـدْ قَـضَى ... أَلاَّ تَجُـوزَ حُكُومـةُ النَّشْـوَانِ[5]

فَـدَعُـوا الحُكُومَـةَ لَسْـتُمُ من أَهْلِهَـا ... إنَّ الحُكُومَـةَ في بَنِي شَـيْـبَـانِ[6]

قَـتَلُوا كُلَيْـبَكُمُ بِلقـحَـةِ جَـارِهِمْ ... يا خُـزْرَ تَغْلِبَ لَسْـتُمُ بِهِـجَـانِ[7]

---

(١) الوزواز: الخفيف على الأرض.

(٢) قيس: قبيلة مضرية. القين: العبد. مجاشع: قبيلة الفرزدق.

(٣) الجمة: مجتمع الماء ومعظمه. الأعطان: مناخ الإبل حول الحوض.

(٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه.

(٥) ذو العباءة: الأخطل لأنه يلبسها. وبشر: هو بشر بن مروان.

(٦) بنو شيبان: هم بنو شيبان بن ذهل من بكر بن وائل.

(٧) كليب: هو كليب بن ربيعة. اللقحة: الناقة الحلوب. خزر: جمع أخزر وهو الأحول. الهجان: البيض الكرام.

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية:

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية في العصر الأموي امتداد لشعر الدعوة والفتح الإسلامي في عصر صدر الإسلام، فالدعوة إلى الله مستمرة، والجهاد في سبيل الله حمل لواءه الصحابة والتابعون وتبعهم سلفهم في العصر الأموي، إلا أن الجهاد يفتر في زمن الفتن التي تحدث بين المسلمين ثم يعود قوياً ليستأنف مسيرته.

ودولة بني أمية هي الدولة التي شهدت فيها الفتوح الإسلامية أقصى اتساعها، حين امتدت الدولة الإسلامية من الأندلس وفرنسا غرباً حتى الصين شرقاً، وقد صاحب تلك الفتوح شعر يصورها ويصف إيمان الجندي المسلم وثباته وصبره. لأن الجنود المقاتلين فيهم الكثير من الشعراء.

يقول كعب الأشقري:

والتـــركُ تعلمُ إذْ لاقَى جُـــمُـــوعَـــهُمُ ... أَنْ قَـدْ لَقُـوه شـهـاباً يَفْـرِجُ الظُّلَمَـا[1]

بِفِـتـيـةٍ كـأُسُـودِ الغَـابِ لم يَجِـدُوا ... غَـيْـرَ التّـاسِّي وغَـيْـرَ الصبْـرِ مُـعْـتَـصَـمَـا

فـي حَـــازَّةِ الموْتِ حَـــتّى جنَّ لَيْلُهُمُ ... كـلا الفَـرِيْقَـيْنِ مـا ولى ولا انْهـزَمَـا[2]

ويقول سوادة بن عبد الله السلولي في وصف وفد الدعوة الذي أرسله قتيبة بن مسلم الباهلي إلى ملك الصين في زمن الوليد بن عبد الملك، وكان يرأس ذلك الوفد هبيرة بن المُشَمْرَج الكلابي، وقد سار ذلك الوفد إلي ملك الصين وعرض عليه الإسلام، وبعد محادثات بين الجانبين رضي ملك الصين بدفع الجزية للمسلمين، وعاد الوفد إلي قتيبة بن مسلم، يقول سوادة:

لاعـيـبَ في الوفـد الذين بَعَـثْـتَـهُمْ ... لـلـصـين إن سـلـكُـوا طـريـقَ المَـنْـهَـجِ[3]

كَـسَـرُوا الجُـفُـونَ على القَـذَى خَـوْفَ الرَّدَى ... حـاشَـا الكريمَ هبـيـرة بن مُـشَـمْـرَجِ

---

(١) الضمير في (لقوه) يعود إلي يزيد بن المهلب.

(٢) تاريخ الطبري ٦/٣٥٢. والحازة: الشدة.

(٣) المخاطب قتيبة بن مسلم.

لم يَرْض غَيْرَ الخَتْمِ في أَعْنَاقِهِمْ ورَهَائنٍ دُفِعَت بِحَمْل سَمَرَّجِ[1]

أَدَّى رِسَالَتَكَ التي اسْتَرْعيتَهُ وأَتَاكَ من حِنْثِ اليَمِين بِمَخْرَجِ[2]

والمعاني التي يشتمل عليها شعر الفتوح والدعوة الإسلامية لا تكاد تخرج عن الحماسة والحث على الجهاد وقتال الأعداء -كما تقدم- أو رثاء من يقتل في سبيل لله، أو الحنين إلى الأوطان. وقد أشتهرت عدد من القصائد في الحنين إلى الوطن دون معرفة قائليها.

ومن شعر الحنين إلى الوطن قول الصمة بن عبد الله القشيري[3]:

أَقُولُ لِصَاحِبي والعِيْسُ تَهْوي بِنَا بَيْن المُنيفَةِ فالضِّمَار[4]

تَمَتّعْ من شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيِّةِ من عَرَارِ[5]

أَلا يَاحَبّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيّا رَوْضِهِ بَعْدَ القِطَار[6]

وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الحَيُّ نَجْداً وأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ[7]

شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ ولاَ سِرَارِ[8]

---

(١) كان قتيبة قد زقسم أن يطأ أرض الصين وأن يختم علي رقاب ملوكهم وأن يأخذ الجزية . والسمرج: الخراج.

(٢) كان ملك الصين قد بعث بتراب من أرض الصين ليطأه قتيبة فيبر بقسمه.

(٣) الصمة بن عبد الله القشيري شاعر أموي، عاش معظم حياته جندياً يقاتل في سبيل الله في بلاد خراسات وما والا ها شرقاً، وقد حن كثيراً إلى بلاده نجد التي انتقل منها في أيام شبابه، وقد توفي في طبرستان سنة٥٩هـ.

(٤) المنيفة: ماء بالقرب من حفر الباطن، الضمار: موضع قريب من حفر الباطن.

(٥) العرار: نبت طيب الرائحة، وله زهر أصفر.

(٦) الريا: الريح الطيبة. القطار : جمع قطر وهو المطر.

(٧) زاري: عائب ومعاتب.

(٨) السرار: آخر ليلة من الشهر. والأبيات في ديوان الصمة ص ٧٨.

خصائص الشعر في العصر الأموي

١ – الجمع بين المعاني الجاهلية والإسلامية.

٢ – التوسع في المعاني الإسلامية من شرح للعقيدة الإسلامية، وتوضيح طريقة الدعوة، والتفاني في سبيل العقيدة، والدعوة إلى الجهاد.

٣ – التوسع في الأغراض التقليدية حيث أصبح المدح بالإيمان، والهجاء بالكفر والشرك والفسق، والفخر بنصر الإسلام، واستنهاض الهمم لقتال الكفار.

٤ – التنوع الواسع في المعاني ودقتها، والأخذ من ثقافات الشعوب المفتوحة وتاريخها ومعارفها.

٥ – الترتيب في المعاني فيّ بعض القصائد.

٦ – ظهور معاني جديدة كالجدل السياسي والديني عند شعراء الفرق المختلفة، ووجود النقائض التي تعتبر تطوراً لغرض الهجاء.

٧ – ظهور شعراء من أصول غير عربية يفتخرون بأصولهم وأممهم ويفضلونها على العرب فيما يعرف بالشعر الشعوبي. ومن شعراء هذا اللون إسماعيل بن يسار.

٨ – التنوع في قوة الأسلوب، ما بين قوي يمثله كبار الشعراء كالفرزدق وجرير والأخطل وذي الرمة خاصة في غرضي المدح والهجاء، وسهل رقيق نجده عند شعراء الغزل كجميل بثينة وكثير عزة وقيس بن ذريح وعمر بن أبي ربيعة، وأسلوب ثالث وسط بين القوة والسهولة كمعظم شعر الفتوح وشعر الخوارج.

٩ – تأثير البيئة في الشعر. فنجد شعر الحجاز يختلف عن شعر نجد، وكذا شعر العراق وأهل الشام؛ ذلك أن هذه البيئات اختلفت حيث تزخر البيئة العراقية بالصراعات السياسية والدينية، وبيئة الحجاز تميزت برفاهة العيش، ويختلف مركز الخلافة في الشام عن غيره، بينما لم تتغير كثيراً بيئة نجد.

نماذج من الشعر الأموي

١ - الفرزدق يفتخر بقومه:

١- لَنَا العِـزَّةُ القَـعْـسَـاءُ والعَـدَدُ الذي ... عليـــه إذا عُـــدَّ الحـــصى يَتَـــخَلّفُ[١]

٢- ولو شَـــرِبَ الكَلْبَىٰ المراضُ دِمـــاءَنا ... شَـفَـتْـهـا وذو الخَـبْلِ الذي هو أَدْنَفُ[٢]

٣- ترى النّاسَ مـا سِرْنَا يسـيرُون خَلْفَنا ... وإن نحنُ أوْمَـــأنَا إلى النّاسِ وقّـــفـــوا

٤- ولا عِـــزَّ إلا عِـــزُّنا قَـــاهرٌ لَهُ ... ويســـألنا النّصَفَ الذَّلِيْلُ فَنُنْصِفُ[٣]

٥- وقـــد علم الجـيـــرانُ أنَّ قُـــدُورَنَا ... ضَـــوَامِنُ للأرزاق والريحُ زَفْـــزَفُ[٤]

٦- نُعَـجِّلُ للضِّـيـفَـانِ في المحْل بالقِـرَى ... قُـــدُوراً بمَعْـبُـــوطٍ تُـمَـــدُّ وتُغْـــرَفُ[٥]

٧- تُفَـرَّغُ في شِـيـزَى كَـأَنَّ جِـفَـانهَـا ... حِـيَـاضُ جِـبى مِنْهَـا مِـلاءٌ ونُصَّفُ[٦]

٨- تَرى حَـوْلَهُنَّ المُعْـتـفِـيْنَ كـأنّهُمْ ... على صنمٍ في الجـــاهليـــةِ عُكَّفُ[٧]

٩- ومـا حَلَّ من جَـهْلٍ حُـبَى حُلمَـائِنَا ... ولا قَـــائِلُ المعـــروفِ فـــينا يُعَنَّفُ

١٠- ومـــا قـــام منا قـــائمٌ في نَدِيِّنا ... فَـــيَنْطِقُ إلاَّ بالـتي هِيَ أَعْـــرَفُ[٨]

---

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الكلبي: الذين بهم داء الكلب وهو عض الكلب . الخبل: الجنون. أدنف : أكثر مرضاً.

(٣) النصف : الإنصاف.

(٤) زفزف: شديدة الهبوب باردة.

(٥) المعبوط: لحم الإبل الصحيحات . تمد : يأتيها مدد.

(٦) الشيزي: الجفان المصنوعة من خشب الشيز، حياض جبى: أي جبي فيها الماء.

(٧) المعتفي: من يطلب الرزق.

(٨) الندي: المجلس. أعرف : أقرب للمعروف.

١١- وَجَـهْلٍ بِحِلْمٍ قـدْ دَفَـعْنَا جُنونَهُ ... ومـا كـانَ لَوْلا عِـزُّنَا يَتَـزَحْلَفُ[١]

١٢- رَجَحْنَا بهِمْ حَتى اسْتَثَابُوا حُلُومَهُمْ ... بِنَا بَعْـدَ مَـا كَـادَ القَنَا يَتَـقَـصَّفُ[٢]

٢- الأخطل يمدح بني أمية*:

١- إني حلفتُ برب الرَّاقِـصـاتِ ومـا ... أضـحى بمكّةَ من حُـجْبٍ وأَسْـتَـارِ[٣]

٢- لألْجَـأَتْني قُـرَيْشٌ خَـائِفًـا وَجِـلاً ... وَمَـوَّلَتْني قُـرَيشٌ بعـد إِقْـتَـارِ[٤]

٣- المُنْعِـمُـونَ بَنُو حَـرْبٍ وَقَـدْ حَـدَقَتْ ... بِيَ المنِيّـةُ واسـتَـبْطَأتُ أنصَـاري[٥]

٤- قَـوْمٌ يُجَلُّونَ عَنْ أَحْـيَـائِهَـا ظُلُمـاً ... حَـتَّى تَكَشّفَ عن سَـمْعٍ وإِبْصَـارِ[٦]

٥- قَـوْمٌ إِذَا حَـارَبُوا شَـدُّوا مـآزِرَهُمْ ... عن النِّسَـاء ولو باتَتْ بِأَطْهَـارِ

٦- هَيْنُونَ لَيْنُون اسَـادٌ ذَوُو شَـرَسٍ ... سُـوَّاسُ مَكْرُمَـةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَـارِ[٧]

٧- لاَ يَنْطِقُـونَ بِفَـحْـشَـاءٍ إِذَا نَطَقُـوا ... ولا بما دُوْنَ إِنْ مَـارُوا بِإِكْـثَـارِ[٨]

٨- مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لا قَـيْتُ سَـيِّـدَهُمْ ... مِـثْلَ النُّجُـومِ التي يَسْـرِي بِهَـاالسّـارِي

---

(١) يتزحلف: يتنحى ويتباعد.

(٢) استثابوا حلومهم: رجعت إليهم حلومهم. يتقصف: يتكسر. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢ / ٨٧٦.

* الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني، نشأ في الحيرة في العراق واتصل بخلفاء بني أمية ومدحهم بقصائد كثيرة، وقد توفي سنة ٩٠ هـ.

(٣) الراقصات: الإبل الساعية إلي مكة. والحجب والأستار: كساء الكعبة.

(٤) يقول أقسم أن قريشاً ألجأتني وأمنتني بعد تهديد الأنصار لي

(٥) حدقت: أحاطت.

(٦) أحياؤها: جمع حي وهي الجماعة.

(٧) شرس: قوة.

(٨) ماروا: عاشوا في نعمة. والقصيدة في ديوانه ص ٨٣.

٣- جرير يهجو قبيلة تغلب قوم الأخطل :

١- إنِّي حَلَفْتُ فلن أُعَـافِيَ تَغْلِبـاً ... لـلظـالمين عُـقُـوبَـةً ونَـكَـالا

٢- قَـبَحَ الإلهُ وجـوهَ تَغْلِبَ إنّهَـا ... هَانَتْ عليَّ مَـعَـاطِسـاً وَسِـبَـالا[١]

٣- قَـبَحَ الإلهُ وجـوهَ تَغْلِبَ كُلّمَـا ... لَبَّى الحَـجِـيجُ وكَـبّـرُوا إهْلالا

٤- عَـبَـدُوا الصَّلِيْبَ وكَـذّبُوا بِمُـحَـمّدٍ ... وَبِجَـبْـرئِيلَ وكَـذّبُوا مِـيْكَالا

٥- لاَ تَطْلُبَنَّ خُـؤُولَـةً مِنْ تَغْلِبٍ ... فـالـزِّنْجُ أَكْـرَمُ مِنهـمُ أَخْـوَالا

٦- هل تَمْلِكُونَ من المَشَاعِرِ مَشْعَراً ... أو تَـنْـزِلُـونَ مِـن الأرَاكِ ظِـلالا[٢]

٧- لَوْلاَ الجِـزَى قُـسِمَ السّـوَادُ وَتَغْلِبٌ ... للمـسلمينَ فَـأَصْـبَـحُـوا أنْفـالا[٣]

٨- لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَـمَّـعَتْ أَحْـسَـابَهَـا ... يَوْمَ التّـفَـاضُلِ لَـمْ تَزِنْ مِـثْـقَـالا

٤- مالك بن الرَيْب يرثي نفسه لما أحسَ بقرب منيته* :

١- ألا ليت شـعـري هـل أَبيـتَنَّ ليلةً ... بجنبِ الغضى أُزجي القِلاصَ النواجيا[٤]

٢- أَلَمْ ترني بِعْتُ الضـلالةَ بالهُـدى ... وأصبحتُ في جيشِ ابن عَـفَّانَ غازيا[٥]

---

(١) المعاطس: الأنوف. والسبال: شعر الشارب.

(٢) الأراك: أراك عرفة، أي إنهم لا يحجون ولا يحلون بأراك عرفة لأنهم نصارى.

(٣) الجزى: جمع جزية وهي ما يدفعه النصارى للمسلمين . السواد: ريف العراق. أنفال: غنائم. والقصيدة في ديوان جرير ص ٤٥٠.

* مالك بن الريب: شاعر من بني تميم كان لصاً في أول حياته ثم انضم إلى الجيوش الإسلامية في خراسان وقد توفي في مرو سنة ٦٠هـ.

(٤) الغضى: شجر ينبت في الرمل. أزجي: أسوق. القلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. النواجي: السريعة.

(٥) ابن عفان: يعني سعيد بن عثمان بن عفان، ولاه معاوية على خراسان.

٣- فَلِلَّهِ دَرِّي يومَ أَتْرَكُ طائعاً ... بَنِيَّ بأعلى الرَّقْمَتَيْن ومالِيا[1]

٤- ودرِّ الظباءِ السانحاتِ عشيَّةً ... يُخَبِّرْن أني هالكٌ مَنْ ورائيا

٥- تذكّرْتُ من يبكي عليَّ فلم أَجِدْ ... سِوَى السَّيْفِ والرمحِ الرُّدَيْنيِّ باكِيَا[2]

٦- ولما تَراءتْ عند مروٍ مَنِيَّتي ... وَحَلَّ بهَا سُقْمِي وحانَتْ وَفَاتِيَا[3]

٧- أقولُ لأصحابي ارفعوني فَإِنَّني ... يَقَرُّ بعيني أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا[4]

٨- وياصَاحِبيْ رَحْلِي دنا الموتُ فانزلا ... بِرَابِيَةٍ إِنِي مقيمٌ لَيَالِيَا

٩- أَقِيمَا عليَّ اليومَ أو بَعْضَ لَيْلَةٍ ... ولا تُعْجِلاَنِي قَدْ تَبَيَّنَ مَابِيَا

١٠- وقُومَا إِذَا ما اسْتُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا ... ليَ السِّدْرَ والأكفانَ ثُمَّ ابكيا لِيَا

١١- وخُطَّا بأطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ... ورُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ ردَائِيَا

١٢- ولا تَحْسُدَانِي بارك اللهُ فِيكُمَا ... مِنَ الأَرضِ ذاتِ العَرْضِ أَنْ تَوُسِعَاليا

١٣- خُذاني فَجُرّاني بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا ... فقد كنتُ قبل اليَوْمِ صَعْباً قِيَادِيَا

١٤- يقُولُونَ لا تَبْعُد وهم يَدْفنونَني ... وأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَا[5]

١٥- غَدَاةَ غَدٍ يالَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ ... إِذَا أَدْلَجُوا عَني وخُلِّفْتُ ثَاوِيَا

---

(١) الرقمتين: اسم المكان الذي فيه أهله.

(٢) الرديني: نسبة إلى ردينة وهي امرأة تبيع الرماح في الخط (القطيف).

(٣) مرو: عاصمة خراسان.

(٤) سهيل: نجم يماني لا يرى في خراسان.

(٥) البعد: الهلاك. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٧٥٨.

٥- قصيدة الراعي النميري في شكوى عمال الزكاة*:

١- أَخَلِيْفَةَ الرحمنِ إنّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ نسجدُ بكْرَةً وأَصِيلا

٢- عَرَبٌ نرى لله في أَمْوَالِنَا ... حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلاً تَنْزِيلا

٣- إنَّ السُّعَاةَ عَصَوكَ يوم أَمَرْتَهُمْ ... وأَتَوْا دَوَاهِيَ لو عَلِمْتَ وغُولا[١]

٤- أخليفةَ الرحمن إنَّ عَشِيرَتي ... أَمْسَى سَوَامُهُم عِزينَ، فُلُولا[٢]

٥- قَوْمٌ على الإسْلام لَمّا يَتْرُكُوا ... مَاعُونَهُمْ ويُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا

٦- أَنْتَ الخَلِيْفَةُ عَدْلُهُ ونوالُهُ ... وإذا أَرَدْتَ لِظَالِمٍ تَنْكِيلا

٧- فَادْفَعْ مَظالِمَ عَيَّلَتْ أَبْنَاءَنا ... عَنّا وأَنْقِذْ شِلْوَنَا المَأْكُولا[٣]

٨- فَتُرَى عَطِيَّةَ ذاكَ، إنْ أَعْطَيْتَهُ ... مِنْ رَبِّنَا فَضْلاً، ومِنْكَ جَزِيلا

٩- إنَّ الذين أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا ... لَمْ يَفْعَلُوا ممّا أَمَرْتَ فَتِيلا[٤]

١٠- أَخَذُوا الكِرَامَ مِنَ العِشَارِ ظُلاَمَةً ... مِنّا وتُكْتَبُ للأَمِيرِ أَفِيلا[٥]

---

* الراعي النميري: هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل من بني نمير، شاعر فحل، توفي سنة ٩٠هـ.

(١) غول: دواهي.

(٢) عزين: فلول: متفرقة.

(٣) عيَّلت: التعييل: سوء الغذاء، الشلو: العضو.

(٤) الفتيل: ما يكون في شق النواة، والمقصود: أقل القليل.

(٥) الأفيل: الصغير. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٩٢٢.

دراسة مفصلة للشاعرين: جرير والفرزدق

جريـر

حياته:

هو جرير بن عطية بن الخَطَفَىٰ التميمي، وأبوه عطية ليس له شأن فهو قليل الفطنة وقليل المال. أما جدُّه الخطفىٰ فكان يقول الشعر وهو صاحب ثروة من الغنم والحمير. ولجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد. وله من الأبناء ثمانية، ومن البنات اثنتان وكنيته أبو حزرة.

وينتسب جرير لقبيلة كليب اليربوعية التميمية، ومساكن هذه القبيلة في صحراء المروت الواقعة في الوشم، وقبيلة كليب هذه ليس لها شأن؛ فجرير عندما يفتخر، يفتخر بقبيلته الكبيرة يربوع أو يفخر بقومه بني تميم، وقد استغل الفرزدق ضعف قبيلة كليب وعدم نباهتها فأخذ يعير جريراً بقبيلته هذه وأنها لا تملك إلا الأتن والأغنام، ولا تملك الإبل وليس لها أموال كقبائل تميم الأخري.

وقد نشأ جرير وعاش معظم حياته في صحراء المروت في الوشم، إلا أن قومه بني يربوع دعوه للإقامة في البصرة لما رأوا الفرزدق يقيم بها وينظم الأشعار في هجاء جرير وقومه، فاستجاب جرير لقومه وانحدر إلى البصرة وأقام فيها سنوات وكان ينشد شعره في سوق المربد وقد استعر الهجاء بينه وبين الفرزدق في سوق المربد، فاضطر عامل ابن الزبير على البصرة إلى هدم بيتيهما.

وجرير يتصف بالعفة وطهارة النفس والتمسك بالدين، فغزله في زوجاته وإمائه، وهجاؤه دفاع عن النفس وقبيلته. وقد عاش عيشة طيبة، فمديحه يدر عليه الأموال الطائلة إذ أنه مدح عبد الملك فأعطاه مئة ناقة جائزة له على قصيدة واحدة. ولجرير صلات وثيقة مع ولاة اليمامة لأنه يحتاج إليهم. وقد مدح المهاجر بن عبد الله ببعض القصائد.

وقد توفي جرير سنة إحدى عشرة ومئة عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً.

شعره:

شعر جرير يشمل الهجاء والمدح والرثاء والغزل، وهو شعر يرق في الغزل ويكون قوياً في المدح والهجاء، وشعره كثير ومتنوع، وكان يقول عن نفسه: (أنا مدينة الشعر).

وجرير شاعر مطبوع يقول الشعر استجابة لسجيته وطبيعته؛ فشعره خال من التكلف وهذا هو السبب الذي جعل أسلوبه عذباً ليناً لا قسوة فيه ولاجفاء. وأكثر شعره في الهجاء ثم يليه المدح، وله رثاء جيد، أما غزله فهو قليل، ولجرير رجز ولكنه قليل، وهذه هي أهم أغراض شعره:

الهجـاء:

الهجاء من أشهر أغراض شعره فقد تهاجى مع ثلاثة وأربعين شاعراً، وقيل أكثر من ذلك، وهجاء جرير من أقسى الهجاء، وقد صمد في هجائه لعدد كبير من الشعراء حتى أخذ يقول:

عوى الشعراءُ بعضُهُمُ لِبَعْضٍ ... عليَّ فقد أصابَهُمُ انْتِقَامُ

إذا أرسلتُ قافيةً شَرُوداً ... رأوا أخرى تُحَرِّقُ فاستَدَامُوا[1]

فَمُصْطَلَمُ المَسَامِعِ أو خَصِيٌّ ... وآخرُ عَظْمُ هامَتِهِ حُطَامُ[2]

وإذا نظرنا إلى هجائه وجدناه موجعاً وسائراً بين الناس؛ فقصيدته في بني نمير أخزتهم، وأخذ الناس يتناقلون هذا البيت:

فغضَّ الطرف إنك من نميرٍ ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ومن هجائه قوله يهجو الأخطل وقبيلته تغلب:

خابتْ بنوتغلبٍ إذ ضلَّ فارطُهم[3] ... حوضَ المكارمِ إن المجدَ مُبتَدَرُ

الظاعنون علي العمياء إن ظعَنوا ... والسائلون بَظَهرِ الغيب مالخبرُ

أحياؤهم شرُّ أحياءٍ وألأمُهُ ... والأرضُ تلفِظُ موتاهم إذا قُبروا

وما لتغلب إن عُدَّتْ مساعيهَا ... نجمٌ يضيءُ ولا شمسٌ ولا قمرُ

---

(١) استداموا: انتظروا.

(٢) الاصطلام: القطع. والأبيات في ديوان جرير ٥١٣.

(٣) الفارط: الذي يتقدم قبل الإبل ليسقيها.

المـدح:

جرير من الشعراء الذين يُسَخِّرون قصائد المدح لطلب المال فهو عندما يمدح خليفة من بني أمية أو عاملاً من عمالهم فإنما يمدحه من أجل العطاء، وهو يضفي على ممدوحه الصفات التقليدية من كرم وشجاعة ووفاء ولكن قصائد المدح لا تخلو من المعاني الإسلامية. فهو يقول في مدحه لعبد الملك بن مروان:

ثِقي بالله ليس له شريكٌ ... ومن عند الخليفة بالنَّجَاحِ

أغِثْني يافداكَ أبي وأمي ... بِسَيْبٍ منكَ إنَّك ذو ارْتياحِ

فإني قد رأيتُ عليَّ حَقاً ... زِيارَتِيَ الخليفةَ وامتداحي

سأشكر إنْ رَدَدْتَ عليَّ ريشي ... وأنْبَتَّ القَوادِمَ في جَنَاحِي

أَلسْتم خَيْرَ من ركب المطَايَا ... وأندى العالمين بُطُونَ رَاحِ

وقد مدح الحجاج وعمر بن عبد العزيز والمهاجر بن عبد الله الكلابي وغيرهم من خلفاء بني أمية وعمالهم. وقد قال في عمر بن عبد العزيز:

نالَ الخلافةَ إذْ كانت له قَدَراً ... كما أتى رَبَّهُ موسى على قَدَرِ

ولكن عمر لم يعطه شيئاً وعندما رجع إلى قومه قال:

تركت لكم بالشام حَبْلَ جَمَاعةٍ ... أمينَ القُوى مُسْتَحْصِد العَقْدِ بَاقِيَا

وَجَدْتُ رُقى الشَيْطَانِ لاَ تَسْتَفِزُّهُ ... وقد كان شيطاني من الجِنِّ رَاقِيَا

الرثـاء:

لم يكن الشعر الذي قاله جرير في الرثاء كثيراً إذ لا يقارن بالمدح والهجاء ولكنه شعر خارج من القلب؛ فقد فقدَ زوجته ورثاها بشعر تظهر فيه لوعة الحزن وألم الفراق حيث يقول:

لولا الحياءُ لعادَني اسْتِعْبَارُ ... ولزُرْتُ قَبْرَكِ والحبيبُ يُزَارُ

لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقوا ... لَيْلٌ يَكرُّ عَلَيْهِمُ ونَهَارُ

أما رثاؤه لابنه سوادة فهو رثاء الأب الحاني علي ابنه فهو يلتمس العزاء ولا يجده على الرغم من معرفته التامة لما يناله الصابر من الأجر، يقول جرير:

فارَقْتَني حين كَفَّ الدَّهْرُ من بَصَري ... وحينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالي

إلاَّ تَكُنْ لَكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ ... فَرُبَّ باكِيَةٍ بالرَّمْلِ مِعْوَالِ[1]

قالوا نَصِيْبُكَ من أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ ... كَيْفَ العَزَاءُ وقد فارقت أَشْبَالي

الغزل:

يتميز غزل جرير بالرقة والعذوبة، وهو قليل إذا قيس بالأغراض الأخرى، وجرير يبعد عن الفحش في غزله، ويمتاز بالرقة واللين في أسلوبه، ومن غزل جرير قوله:

إنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حَتى لا حَراكَ بِهِ ... وهُنَّ أَضْعَفُ خَلْق الله أَرْكَانَا

أَتْبَعْتُهُمْ مُقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقٌ ... هل مَا تَرَى تارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانَا

---

(١) الديرين: هما دير فطرس ودير بولس في غوطة دمشق وكان سوادة قد مات هناك.

قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان

١- أَتصْحُو أم فؤادُك غيرُ صاحِ ... عَشِيَّةَ هَمَّ صحبُك بالرواحِ

٢- تقول العاذلاتُ علاك شيبٌ ... أهذا الشيب يمنعني مِراحي

٣- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثم قالت ... رأيت الواردين ذوي لِقَاحِ

٤- تُعَلِّلُ وهي ساغبةٌ بنيها ... بأنفاس من الشَّبِمِ القَرَاحِ

٥- سأمتاحُ البحورَ فَجَنِّبيني ... أذاةَ اللَّوْمِ وانتظري امْتِيَاحِي

٦- ثقي بالله ليس لهُ شريكٌ ... ومن عندِ الخليفةِ بالنجاحِ

٧- أغثني يافداكَ أبي وأمي ... بِسَيْبٍ منك إنك ذو ارْتِيَاحِ

٨- فإني قد رأيت علي حقاً ... زيارتيَ الخليفةَ وامْتِداحِي

٩- سأشكرُ إن رددتَ علي ريشي ... وأنْبَتَّ القوادمَ في جناحي

١٠- ألسْتُم خير من ركب المطايَا ... وأندى العالمينَ بُطُونَ راحِ

١١- أَبَحْتَ حمى تهامةَ بعد نجدٍ ... وماشيءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ

١٢- لَكُمْ شُمُّ الجبال من الرواسي ... وأعظمُ سيل مُعْتَلَجِ البِطَاحِ

١٣- فما شجرات عيصك في قريش ... بِعَشّاتِ الفروع ولا ضواحي

١٤- رأى الناسُ البصيرةَ فاستقاموا ... وبيَّنْتَ المِرَاض من الصِّحَاحِ

المناسبة:

كان جرير يقيم في العراق من وقت لآخر فيمدح الحجاج بقصائد جيدة، وعندما أكثر جرير من مدحه قال له: إن طاقتي تعجز عن مكافأتك ولكني سأرسلك إلى من هو أقدر مني وهو الخليفة عبد الملك بن مروان، فأرسل الحجاج جريراً إلى عبد الملك وكتب معه خطاباً إليه، وكان جرير قد أعد هذه القصيدة، وعندما أُذن له بالدخول على عبد الملك أنشده هذه القصيدة، فأستحسنها الخليفة وقال لمن حوله: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت، وقد كافأ جريراً على قصيدته هذه مكافأة جزيلة وهي مئة من الإبل، وثمانية أعبد، ومحلب من فضة.

شرح الأبيات:

(١) أتصحو أيها الشاعر من الحيرة التي ألمت بك في ذلك المساء الذي عزم فيه أصحابك على المسير أم يبقى سادراً في غيه وحيرته.

(٢) لقد أكثرت النساء من لومي ورميي بالكبر وظهور الشيب، وردي على ذلك اللوم هو أن الشيب لا يمنع الرجل من أن يكون مرحاً.

(٣-٤) أم حزرة: زوجة جرير. الواردين: أصحاب الإبل يوردونها الماء.

لقاح: إبل كريمة. ساغبة: جائعة. أنفاس: جمع نَفَس والنفس: جرعة الماء. الشبم: البارد. والقراح: الخالص.

عندما رأت أم حزرة وفرة اللبن عند غيرها من الناس أخذت تعزي نفسها وهي أشد ما تكون من الجوع، وبدأت تلهي أبنهاءها بجرعات من الماء البارد النقي لعله يعوضهم عن اللبن المفقود.

(٥-٦) الميح: العطاء.

سأطلب العطاء من خلفاء بني أمية الذين يشبهون البحور في كرمهم ونوالهم، فدعي لومي وانتظري عودتي بالعطاء. وثقي بالله أنني لن أعود من الخليفة خائباً بل سأنجح في مسعاي.

(٧–٨) سيب : عطاء. ارتياح: تحرك للعطاء وهشاشة له.

أنقذني أيها الخليفة بعطاء يمنع عني الفقر فإنني أراك ترتاح للعطاء وتهش له وقد، رأيت أن من واجبي زيارة الخليفة ومدحه.

(٩) القوادم: ريشات في جناح الطائر.

إنني أشكرك أيها الخليفة عندما تتفضل علي بالمال الذي يكسوني بالزينة كما يكتسي الطائر بريشه وينهض بي كما تنهض القوادم بالطائر.

(١٠) ليس غريباً عليكم العطاء ، فأنتم أفضل من ركب الإبل، وأنتم أكرم الناس أجمعين فأيديكم مستمرة في العطاء.

(١١) لأنك شجاع ومهاب فإنك تحمي ما تشاء وتبيح الحمى الذي تريد دون أن يعترض أحد على ذلك.

(١٢) شم: عالية. معتلج: كثير يركب بعضه بعضاً.

إنكم تملكون الجبال العالية الراسية، والأوديةالعظيمة، فلكم جبال مكة وبطحاؤها، فأنتم أهلها وليس ابن الزبير المدعي بملكيتها.

(١٣) العيص: الأصل وهو منبت خيار الشجر. العَشَّة: الشجرة اللئيمة المنبت الدقيقة القضبان. الضواحي: بادية العيدان . والعيص هنا: الأصل.

إن أصلك ياعبد الملك في قريش أصل راسخ قوي الجذور، سالم من اللؤم والدناءة.

الفـرزدق

حياته :

هو همام بن غالب بن صعصعة. من مجاشع بن دارم، وهي إحدى قبائل تميم المشهورة في الجاهلية والإسلام، وزعماء هذه القبيلة في الجاهلية هم أجداد الفرزدق؛ فجده صعصعة، كان كريماً عظيم القدر وكان ينهى قومه عن وأد البنات، وقد اشترى كثيراً من الموؤدات قيل إنها تصل إلى أربع مئة، وقد وفد صعصعة على الرسول ﷺ وأسلم.

أما والد الفرزدق فهو غالب وكان زعيم مجاشع في الإسلام، وقد اشتهر بكرمه في عام المجاعة في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حيث أخذ ينحر كل يوم عشراً من الإبل ويطعمها الفقراء، فقبيلة الفرزدق لها شأن عظيم في الجاهلية والإسلام وهذا هو السبب الذي جعل الفرزدق يفتخر بنسبه وقبيلته. ومساكن هذه القبيلة في كاظمة وما حولها الآن في الكويت، والفرزدق يقيم في البصرة أحياناً، ولكن معظم إقامته في البادية في مساكن قبيلته.

ولد الفرزدق في كاظمة، ونشأ في بيت عز وسيادة، والفرزدق لقبه، ولقِّب به لجهامة وجهه تشبيهاً له بالفرزدقة وهي الخبزة. وقد تربى الفرزدق على الصفات الجاهلية الموروثة من القبيلة ذات العز والشرف، وكان مطلعاً على تعاليم الإسلام ولكن معظم قيمه استمدها من الجاهلية، فهو يجير من استجار بقبر أبيه غالب، وينحر الإبل على قبور أصدقائه الذين ماتوا قبله.

ومن صفات الفرزدق أنه ذكيّ، سريع الجواب، حاضر البديهة، عزيز النفس لا يُذِل نفسه أبداً. وقد تزوج الفرزدق أكثر من واحدة، ولكن زوجته النوار اشتهرت أكثر من غيرها لمطالبتها بالطلاق ورفع ذلك إلى ابن الزبير في مكة. وقد عاش الفرزدق حياة كريمة لا يتقرب فيها إلى الولاة والخلفاء فقد طلبه زياد بن أبيه والي العراق فهرب إلى سعيد بن العاص والي المدينة، فلما تولاها مروان بن الحكم أنذره فخرج من المدينة، وفي هذه الفترة توفي زياد وتولى العراق ابنه عبيد الله فرجع الفرزدق إلى العراق.

وفي ولاية بشر بن مروان على العراق حسنت علاقة الفرزدق بالوالي لأن الفرزدق يرى أن بشراً أهل للصداقة لأنه أخو الخليفة، وأما علاقته بالحجاج فهي علاقة يلفها الخوف . ولم يَفِد الفرزدق على الخلفاء إلا في آخر حياته لأنه يرى أنه نِدٌّ لهم. وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومئة للهجرة.

شعره:

الفرزدق شاعر فحل؛ وعندما سئل عن مجيء الشعر له قال: إنما أتاني الشعر من قبل خالي العلاء بن قرظة الضبي، وكان العلاء شاعراً. وشعر الفرزدق قوي يكثر فيه الغريب، وقد تأثر بحياة البداوة وبرز ذلك في شعره من ناحية المعاني والأسلوب، وشعره وإن كانت معانية تميل إلي مُثُل العرب في الجاهلية فإنه يشتمل على معان إسلامية كثيرة منها قوله:

ولَنْ يُقدِّمَ نَفْساً قبل مِيتَتِهَا ... جَمْعُ اليَدَيْن ولا الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ[1]

وقوله:

ولَسْتَ بِمَأْخُوذٍ بِلَغْوٍ تَقُولُهُ ... إذا لَمْ تَعَمَّدْ عَاقِدَاتِ العَزَائِمِ

وقد قال الفرزدق الشعر في أغراض مختلفة ولكن أهم أغراض شعره هي: الفخر والمدح والهجاء.

الفخر:

عندما يفتخر الفرزدق فإنه يعتمد على قاعدة قوية من المجد والشرف؛ فجده صعصعة سيد مطاع في قومه وقد اشترى كثيراً من المؤؤدات وله عدد كثير من العبيد. وأبوه غالب من زعماء تميم في الإسلام وقد اشتهر بالكرم.

والمعاني التي يشتمل عليها فخر الفرزدق هي الشرف وكثرة العدد والطاعة في القبيلة، والكرم، والحلم. وأسلوبه في الفخر أسلوب قوي متين تتخلله الألفاظ الغريبة، وخير ما يمثل فخر الفرزدق قوله:

لنا العِزَّةُ القعساء والعدد الذي ... عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَخَلَّفُ[2]

ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خَلْفَنَا ... وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى النّاسِ وقّفُوا

وقد علم الجيرانُ أنَّ قُدُورَنَا ... ضَوَامِنُ للأرزاقِ والريحُ زَفْزَفُ

---

(١) الصمصامة الذكر: السيف القاطع.

(٢) القعساء: الثابتة.

المدح:

لم يكن الفرزدق يمدح ليجمع المال لأنه في غنى عن ذلك لثراء أسرته، ولكنه مدح بعض ولاة العراق ليتقرب إليهم إما لحاجات قبيلته وإمّا للخوف من شرهم، وقد مدح من أولئك الأمراء الحجاج ويزيد بن المهلب، أما خلفاء بني أمية فقد بقي الفرزدق بعيداً عنهم لا يذهب إلي دمشق ولا يمدحهم، إلى أن اضطرته حاجات قبيلته تميم إلى الذهاب للخليفة سليمان بن عبد الملك؛ فمدحه وشرح له الوضع القائم بين قيس وتميم.

ومن أشهر مدائحه قصيدته التي مدح بها زين العابدين علي بن الحسين ومنها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحرمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطاهرُ العلمُ

هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهِلَهُ ... بجدِّهِ أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا

سهلُ الخليقةِ، لا تُخشى بوادرُهُ ... يَزينهُ اثنان: حُسْنُ الخَلْق والشيمُ[1]

ما قال: لا قَطُّ إلا في تشهُّدِهِ ... لولا التشهدُ كانت لاءَه نَعَمُ

الهجاء:

قال الفرزدق كثيراً من الهجاء في جرير، وشعر النقائض يشتمل على هجاء الفرزدق لجرير. وهجاؤه في معظمه مقرون بالفخر، وهو يُعَيِّر جريراً بأن ماله من الحمير، وأن قبيلته كليباً ليس لها شأن، وأنه كلبُ قيس. ومن هجاء الفرزدق لجرير قوله:

قَنافِذُ دَرَّاجُونَ حَوْلَ جِحَاشِهِمْ ... لِمَا كَانَ إيّاهُمْ عَطِيّةُ عَوَّدَا

وللفرزدق هجاء في بني قيس بن عاصم المنقري وغيرهم، ولكن معظم هجائه في جرير، ومما قاله في بني قيس بن عاصم عندما لجأت إليهم زوجته النوار:

بَني عاصم لا تُلجِئُوها فإنّكُمْ ... ملاجئ للسّوآتِ دُسْمُ العَمَائِمِ[2]

---

(١) الخليقة: الطبيعة. بوادره: جمع بادرة وهي الحدة.

(٢) دسم العمائم: أي عمائمكم وسخة قذرة.

قصيدة الفرزدق في وصف الذئب

١- وَأَطْلَسَ عسَّالٍ وما كان صاحباً ... دعوت بِنَاري مَوْهِناً فأتاني

٢- فلما دَنَا قلت ادْنُ دونك إنّني ... وإياكَ في زادي لَمُشْتَرِكَانِ

٣- فبت أُسَوِّي الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان

٤- فقلت له لما تَكَشَّر ضاحكاً ... وقائمُ سَيْفي من يدي بمكان

٥- تَعَشَّ فإن واثقتني لا تخوننني ... نكن مِثْلَ من يا ذئبُ يصطحبان

٦- وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بِلِبَانِ

٧- ولو غيرنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أتاك بسهم أو شَبَاةِ سِنَانِ

المناسبة:

كان الفرزدق قد خرج من الكوفة هو وبعض أصحابه، ولما طال بهم المسير أناخوا ركابهم في منتصف الليل وناموا، وكانوا قد هيؤوا للعشاء شاة وسلخوها وعلقوها على جمل لهم، ولكن النوم غلبهم فاستجابوا له، وبينما هم في نومهم إذ هجم ذئب على تلك الشاة المسلوخة وأخذ ينهشها، فاستيقظ الفرزدق، وأناخ الإبل وقطع رجل الشاة ورماها للذئب، فأخذها الذئب وتنحى جانباً وأكلها ثم عاد، فما كان من الفرزدق إلا أن قطع له يد الشاة فأخذها الذئب وذهب لسبيله. وفي الصباح قص الفرزدق على أصحابه ما كان بينه وبين الذئب ، وكان قد صنع هذه الأبيات.

شرح الأبيات:

(١) أطلس: أغبر. عسال: يهتز ويضطرب في سيره. الموهن: نصف الليل.

إن ناري في الليل المظلم ترحب بالجائع، وقد اهتدى بها ذئب أغبر اللون يضطرب في مشيته وفد عليَّ في نصف الليل.

(٢) ولما اقترب ناديته أن يدنو مني، ولا طفته ليشترك معي في طعامي.

(٣) فأخذت أقطع له اللحم في تلك الليلة، مهتدياً بضوء ناري، وأحياناً لا يتيح لي الفرصة لمواصلة اشتعال النار فأكتفي بدخان النار.

(٤، ٥) ولما رأيته قد كشف عن أسنانه استعداداً للافتراس والعراك، قلت له تعش فاللحم أمامك فإن أعطيتني موثقاً بعدم الخيانة فإنني وإياك سنصبح صديقين، أقول ذلك وقد وضعت مقبض سيفي في يدي لأنني أعرف أن ضحك الذئب غير ضحكنا.

(٦) اللِّبَان: الرضاع.

إنك أيها الذئب أخ للغدر فقد رضعتما من لبان واحد فكيف تفترقان؟

(٧) القرى: ما يقدم للضيف. السنان: نصل الرمح. وشباته: حد طرفه. لو طرقت غيرنا أيها الذئب تطلب الطعام أتاك سهم منطلق أو حربة سنان حادة.

مناقشة

١- تحدث عن الأغراض الجديدة في الشعر في العصر الأموي.

٢- اذكر الخصائص التي تميز بها الشعر في هذا العصر.

٣- إلى أي القبائل ينتسب كل من جرير والفرزدق ؟

٤- قيل « جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر» ناقش هذا القول.

٥- تحدث عن الفخر عند الفرزدق، والغزل عند جرير.

النثـر في العصر الأموي

تطور النثر في العصر الأموي وتعددت أغراضه تبعاً لتطور العقلية العربية والإسلامية؛ فالخطب تعددت أنواعها، والرسائل تحولت في بعض صورهاإلى مُحاجَّة تشتمل على الجدل وتعتمد على الإقناع وبسط الكلام.

وبجانب الخطب والرسائل محاضرات الوعاظ التي تطول ويصعب حفظها، فقد كان الحسن البصري وغيره يجلسون للوعظ في المساجد فيتدفق الكلام من أفواههم في أسلوب يخلب الألباب. ونجد من أنواع النثر في هذا العصر المناظرات التي تعقد بين المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج، ومن أهم أنواع النثر في هذا العصر: الخطب والرسائل .

الخطابة

أنواعها :

(أ) **الخطابة الدينية**. وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، ومادتها الوعظ والإرشاد وتبيين أمور الدين، وقد تعمد إلي الترغيب والترهيب. وينهض بها في مركز الخلافة الخليفة، وفي الولايات والولاةُ، ويوجد خطباء مشهورون بخطبهم الدينية بجانب الخلفاء والولاة، من أولئك عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، ومالك بن دينار، وإياس بن معاوية قاضي البصرة، والحسن البصري.

(ب) **الخطب السياسية**. وهدفها إقناع المسلمين برأي سياسي يستحسن الناس به الحكم القائم، أو يقوم على أساسه حكم جديد؛ فبنو أمية يثبتون حكمهم عن طريق الخطب السياسية، والشيعة يسعون لإقناع المسلمين بآرائهم تمهيداً لقيام حكمهم، والخوارج يخطبون في الناس ليقيموا حكماً يختلف عن حكم الأمويين والشيعة، والزبيريون أقاموا حكماً مبنياً على آرائهم . وهم يسعون إلى تثبيته عن طريق الخطب.

ومن أشهر خطباء السياسة: معاوية، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وعبد الملك بن مروان، وزياد بن أبيه ، والحجاج ، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان.

(ج) **خطابة الوفود**. ويقصد بها الوفود التي تفد على الخليفة إما لتهنئة أو تعزية أو تأييد رأي سياسي، ومن أشهر خطباء الوفود : سحبان خطيب وائل، والأحنف بن قيس خطيب تميم.

(د) **خطابة الحرب**. وهي خطب القواد في جيوشهم وتهدف هذه الخطابة إلي تحميس الجند للقتال، ومن القواد الذين اشتهروا بخطبهم قتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد.

أسباب الخطابة :

١- وجود الاتجاهات السياسية التي يمثلها الأمويون وهم الخلفاء، والزبيريون، والشيعة، والخوارج.

٢- وجود الفرق الدينية من جبرية، ومرجئة، وقدرية، ومعتزلة.

٣- قيام الفتن مثل فتنة عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان، وفتنة ابن الأشعث على الحجاج ، وفتنة قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك.

أسلوب الخطابة :

أسلوب الخطابة متنوع،فأسلوب الخطابة الدينية أسلوب واضح بعيد عن الكلمات الغريبة ولكنه لا يصل إلى حد الابتذال.

وأسلوب الخطب السياسية أقوى؛ حيث يشتمل علي بعض الكلمات الغريبة.

وأسلوب خطب الوفود منه ما هو مختصر مثل خطب الأحنف بن قيس، ومنه ما هو مبسوط ومطول مثل أسلوب سحبان وائل.

وأما خطب الحرب فأسلوبها حماسي.

الرسائل

كثرت الرسائل في العصر الأموي؛ لتفرق العرب في الأمصار، ولتعدد ولايات الدولة، ولكثرة الاتجاهات السياسية والفرق الدينية، والرسالة لابد منها للاتصال بين الخليفة وولاته، أو بين أصحاب الفرق الدينية والسياسية.

أنواع الرسائل:

(أ) **الرسائل السياسية**: وهي التي تكون بين الخليفة وولاته أو بين الوالي وزعيم اتجاه سياسي، ومنها رسائل أهل العراق إلى الحسين بن علي، ورسائل الحجاج إلي الخوارج. ومعاني هذه الرسائل لا تلتزم الترتيب الدقيق ، وأما أسلوبها فهو قوي وخصوصاً رسائل الحجاج وقطري بن الفجاءة.

(ب) **الرسائل الوعظية**: وهي التي ترسل من أجل الوعظ وترقيق القلوب، وهذه الرسائل تشتمل على الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب، وهي رسائل طويلة وأسلوبها سهل ليس فيه غريب ولا غموض.

(جـ) **الرسائل الشخصية**: وتشتمل على التهنئة والتعزية، والعتاب والاعتذار، والشفاعة، وأسلوبها سهل وخال من التكلف في الغالب.

(د) **الرسائل الديوانية**: تشمل رسائل الدولة الرسمية، ولا يكتب في الديوان إلا من عرف بإجادته للكتابة وكان قادراً على انتقاء الألفاظ وحسن أداء المعاني التي يطلب منه إيداعها في الرسالة.

أطوار الرسائل:

الرسائل بأنواعها السياسية والوعظية والشخصية والديوانية مرت بمراحل ثلاث:

١- ففي أول العصر كان الخليفة يملي على الكاتب فتكون الرسالة من إنشاء الخليفة أو الوالي وأسلوبها في هذه المرحلة قوي متين، ويشتمل علي الألفاظ الغريبة، ولا تخلو من السجع، ومن كتاب الرسائل في هذه المرحلة : معاويةبن أبي سفيان رضي الله عنه، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج ، وقطري بن الفجاءة، ومن كتاب الرسائل الذين يُمْلىٰ عليهم أو ينشئونها أحياناً:

عمرو بن سعيد الملقب بالأشدق وكان يكتب لمعاوية، وروح بن زنباع الجذامي لعبد الملك ، ويحيى بن يعمر ليزيد ابن المهلَّب، ثم استقدمه الحجاج.

٢- وفي وسط العصر الأموي وبعد أن حُوِّلت الدواوين إلى العربية ومنها ديوان الرسائل أصبح للرسائل كتَّاب متفرغون يُختارون اختياراً. فالمعاني تملىٰ عليهم ثم يصوغونها بأساليبهم. وهؤلاء الكتاب يعنون بانتقاء الألفاظ وتنسيق التراكيب.

وقد برزت الرسالة الوعظية في هذه المرحلة بأسلوبها السهل ومعانيها المشتملة علي الوعظ والإرشاد. أما الرسائل السياسية فقد أصبحت جزءاً من الرسائل الديوانية. ولم يتغير أسلوب الرسائل الشخصية تغيراً كبيراً.

٣- وفي آخر العصر الأموي برزت الكتابة الفنية في رسائل سالم مولى هشام بن عبد الملك وابنه عبد الله وعبد الحميد الكاتب، وهذه الرسائل تتميز بطولها فهي تبلغ أربعين صفحة وأحياناً أكثر، وأسلوب رسائل هذه المرحلة أسلوب سهل يتخلله السجع، وتُصدر الرسالة بالتحميد وتشتمل علي عدة أغراض لطولها. وقد تأثر أسلوبها بأسلوب الوعّاظ كالحسن البصري، وواصل بن عطاء حيث نجد الكلمات المترادفة. ولا نجد في ألفاظ الرسائل كلمات غريبة وإنما هي مختارة ومنتقاه، ومعاني الرسائل في هذه المرحلة مرتبة وواضحة وبعيدة عن الغموض.

نماذج من النثر الأموي

خطبة معاوية عندما أحسَّ بقرب وفاته:

«أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عَنُود[1] وزمن شديد، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولانَتَخَوَّفُ قارعةً[2] حتى تَحِلَّ بنا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغَر من حُثَالَةِ القَرَظ، وقُرَاضَة الجَلَمَين[3]، وأتعظوا بمَن كان قبلكم، قبل أن يتَّعِظ بكم من يأتي بعدكم، فارفضوها ذميمة[4]، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم».

خطبة الحسين في السنة التي قتل فيها:

«إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جِدًّا، فلم يبق منها إلاَّ صُبَابة[5] كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل[6]، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! لِيَرْغَب المؤمن في لقاء الله مُحِقاً، فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا[7]».

خطبة عبد الله بن الزبير عندما علم بمقتل أخيه مصعب في العراق:

«الحمد لله الذي يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، إنه لن يذلَّ من كان الحق معه وإن كان فرداً،

---

(١) عنود: جائر

(٢) القارعة: الخطب الذي يقرع أي يصيب.

(٣) القرظ: شجر وحثالته ما يتساقط من ورقه، وقراضة الجلمين: ما يتساقط من الصوف وغيره عند ما يقص.

(٤) يعني الدنيا. والخطبة في البيان والتبيين ٢/٥٨ وعيون الأخبار ٢/٢٣٧.

(٥) الصبابة: البقية القليلة

(٦) المرعى الوبيل: الوخيم.

(٧) برم: ضجر. والخطبة في تاريخ الطبري ٥/٤٠٣.

ولن يُعز من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام. أتانا خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا: قتل مصعب رحمه الله، فأما الذي أحزننا من ذلك فإنَّ لفراق الحميم لَذْعَةً يجدها حميمه عند المصيبة به، ثم يرعوي بعدها ذوو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء. وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن ذلك لنا وله الخِيرَة.

ألا إنَّ أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه به. إنا والله مانموت حَبَجاً[1] ولا نموت إلا قتلا، قَعْصاً[2] بالرماح تحت ظلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان، والله إنْ قُتِلَ رجل منهم في جاهلية ولا إسلام. ألا إنّما الدنيا عاريّةٌ من الملك الأعلى الذي لا يبيد ذكره ولا يَذِلُّ سلطانه فإن تُقْبِلْ عَليَّ لا آخذها أخذ البَطِر الأشِر، وإن تدبر عني لا أبْكِ عليها بكاء الخَرِف المُهْتَرِ[3]».

تأبين فرعانة بنت أوس بن حَجَر للأحنف بن قيس[4]:

« إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله أبا بحر من مِجَن في جَنَن[5] ومُدْرجٍ في كفن، فوالذي ابتلانا بفقدك، وأبلغنا يوم موتك، لقد عِشْتَ حميداً، ومُتَّ فَقيداً، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السِّلْم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً، وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن الناس لقريباً، وفيهم لغريباً، وإن كنت لَمُسَوَّدَا، وإلى الخلفاء لَمُوَفدَا، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتبعين».

---

(١) الحبج: أن يأكل البعير كثيراً من العرفج فيموت . ويقصد ابن الزبير أننا لا نموت بالتخمة كبني أمية.

(٢) قعصه: قتله مكانه.

(٣) الخرف: من ذهب عقله بسبب الكبر. والمهتر: من ذهب عقله بسبب المرض أو الحزن. والخطبة في عيون الأخبار٢ / ٢٤٠ وتاريخ الطبري ٦ /١٦٦.

(٤) التأبين: رثاء الميت والثناء عليه ، وتعديد محاسنه. وفرعانة امرأة من بني تميم، والأحنف توفي سنة ٦٧هـ.

(٥) الجنن: القبر لأنه يجن الموتى أي يخفيهم عن الأنظار.

دراسة أدبية لرسالة عبدالحميد الكاتب إلى الكُتَّاب.

النص:

«أما بعد، حفظكم الله يأهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم! فجعلكم معشر الكتاب – في أشرف الجهات – أهْلَ الأدب، والمروءةِ والعلمِ والرواية.

فتنافسوا يا معشر الكُتَّاب في صُنوف الآداب، وتفقَّهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثِقافُ[1] ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلْيةُ كُتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبَها ومعانيَها، وأيامَ العرب والعجم، وأحاديثَها وسيَرَها فإن ذلك مُعينٌ لكم على ماتسمو إليه همَمُكم، ولا تُضَيِّعوا النظرَ في الحساب، فإنه قِوَامُ كُتّاب الخراج[2]. وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنِيِّها وَدَنيِّها، وسَفْسَافِ الأمور ومحاقِرِها، فإنها مَذَلّةٌ للرقاب مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات، واربؤوا بأنفسكم[3] عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات، وإياكم والكِبْرَ والصَّلَفَ[4] والعَظَمة فإنها عداوة مجتلَبَةٌ من غير إِحْنَة[5]، وتحابُّوا في الله عزوجل في صناعتِكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليقُ بأهل الفضل والعدلِ والنُّبْلِ من سلَفِكم.

تولاّنا الله وإياكم يا معشرَ الطلبة والكتبة بما يتولى به مَنْ سبقَ علمهُ بإسعادِه وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[6]».

صاحب النص:

هو عبدالحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، من أشهر الكتاب في آخر العصر الأموي، فقد طور الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة، وبالتوسع في المعاني، والعناية بترتيبها

---

(١) ثقاف: مقوم.

(٢) قوام الشي: عماده الخراج: الجزية وما يُصَالَحُ عليه أهل البلاد المفتوحة.

(٣) اربؤوا بأنفسكم: ارتفعوا بأنفسكم.

(٤) الصلف: التطاول.

(٥) الإحنة: الحقد.

(٦) من أراد أن يطلع على النص كاملاً فليرجع إلى الجزء الأول من صبح الأعشى.

ووضوحها. اشتغل في دواوين الخلفاء حتى أصبح المقدم عند مروان بن محمد، ولما قوي أمر العباسيين هرب مع مروان إلى مصر حيث قتل في بوصير سنة ١٣٢هـ.

تقسيم النص:

(أ) مقدمة: تبدأ بـ(أما بعد) وتنتهي بـ(والرواية) وتشتمل على الدعوة بالتوفيق للكتاب وبيان منزلتهم.

(ب) عُدَّة الكتاب: وهي إرشادات ونصائح وتعاليم للكتاب، وهي لب الرسالة وصميمها وتبدأ بقوله: فتنافسوا يامعشر الكتاب) وتنتهي بـ(والنبل من سلفكم).

(ج) خاتمة: تبدأ بقوله (تولانا الله) وتنتهي بـ(والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وهي دعاء للكتاب برعاية الله لهم. ثم سلام يشعربانتهاء الرسالة.

الأفكار:

لم يعرف الكُتَّاب رسالة نهجت نهج رسالة عبدالحميد في أفكارها بحيث وجهها إلى فئة من الناس هم الكتاب، وعلى هذا فإن الفكرة جديدة، وإن كانت النصائح الموجودة تصلح للكتاب وغيرهم إلا ما قل من تلك الإرشادات.

والأفكار تشتمل على صدق صاحبها وإخلاصه فيما يقول، والدليل على ذلك أن هذه الأفكار عندما تطبق على الواقع تكون حقائق ملموسة، فأفكار عبدالحميد إذن أفكار متطورة تسابق الزمن الذي قيلت فيه، فالكتاب تسابقوا إلى حفظها، بل إنها أثرت في كثير من الناس فأخذوا يكتبونها ويتدارسونها. وأما تنظيم الأفكار وترتيبها فهو أمر ملموس؛ فالرسالة تتكون من ثلاثة أجزاء:

١ – مقدمة. ٢ – عرض. ٣ – خاتمة.

والعرض وهو لب الرسالة تدرجت فيه الأفكار تدرجاً ينقل الفائدة إلى القارئ والمستمع بسهولة، فالكاتب أمر الكاتب بالفقه في الدين والنظر في كتاب الله ثم إتقان اللغة العربية، وانتقل بعد ذلك إلى إجادة الخط، وبعد ذلك أمرهم بالاطلاع على التاريخ والأيام والاستفادة من الشعر، ولفت الكتاب إلى تعلم الحساب. هذا القسم هو الفكرة الرئيسة التي تُعدُّ الكاتب للكتابة، ثم خصص القسم الثاني من العرض للنصائح حيث أرشد الكتَّاب إلى التحلي بالصفات السامية والابتعاد عن الصفات الدنيئة.

ومن خلال هذا العرض لأفكار الكاتب يتضح لنا أنها أفكار تشملها وحدة تامة تربط جميع أجزائها في إطار واحد، وهي بعد ذلك أفكار واضحة بعيدة عن اللبس والغموض.

الأسلوب:

أسلوب عبدالحميد في رسالته أسلوب متطور حسن الصياغة؛ فألفاظه خاليه من الغريب. وتراكيب الرسالة متماسكة الألفاظ متآلفة فيما بينها، ليس فيها تعقيد يمنع من فهم المعنى، ويظهر في أسلوب الكاتب الترادف، فهو يجمع عدداً من الكلمات لمعان متقاربة مثل: (وحاطكم ووفقكم وأرشدكم) وقوله: (أهل الأدب والمروءة والعلم) والترادف ناتج عن تطويل الرسائل، فالترادف في الأسلوب وتفتيق المعاني في الأفكار يرجعان إلى طول الرسالة.

وظاهرة أخرى في أسلوب هذه الرسالة وهي كثرة استخدام حروف العطف، وهذا الأمر وإن لم يكن مستحسناً إلا أن حاجة الأفكار إلى هذه الحروف جعلتها مقبولة. وقد استخدم الكاتب السجع كقوله: (فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الاداب) وقوله: (فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب) ولكن الكاتب لم يكثر منه فجاء مناسباً وخفيفاً على السمع، ومما نلاحظه في الأسلوب تنويع العبارة ما بين دعاء وأمر وتحذير.

وقد أحسن الكاتب عرض أسلوبه فبدأ المقدمة بـ(أما بعد) وضمنها الدعاء، وعندما انتقل إلى العرض غير أسلوبه من الدعاء إلى الأمر حيث بدأ بقوله (فتنافسوا) ثم عاد إلى الدعاء في الخاتمة حيث قال: (تولانا الله وإياكم) وكما أنه أحسن الابتداء فقد وفق ختم رسالته حيث ختمها بالدعاء والسلام.

مناقشة

١- ما أنواع الخطابة في العصر الأموي؟ وما أهم أسبابها؟

٢- أسلوب الخطابة في العصر الأموي يختلف بحسب نوع الخطبة. اشرح هذه العبارة.

٣- ما أنواع الرسائل في العصر الأموي؟ وما المراحل التي مرت بها ؟

٤- متى ظهرت الكتابة الفنية في العصر الأموي؟ ومن هم روادها؟

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الدراسي الأول	٧
توزيع المنهج للفصل الدراسي الأول	٩
تعريف الأدب	١١
أقسام الأدب :	١٢
(أ) فن الشعر	١٢
الشعر القصصي	١٢
الشعر التمثيلي	١٣
الشعر الغنائي أو الوجداني	١٣
(ب) فن النثر	١٤
أنواع النثر	١٤
الغرض من دراسة الأدب	١٧
العصور الأدبية	١٨
العصر الجاهلي	٢٠
(أ) الحياة الاجتماعية	٢٠
(ب) الحياة السياسية	٢١
(ج) الحياة العقلية	٢٢
أيام العرب وأثرها في الأدب	٢٤
يوم ذي قار	٢٤
يوم خزازى	٢٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
الشعر الجاهلي	٢٧
نشأة الشعر الجاهلي وروايته	٢٧
أغراض الشعر الجاهلي	٢٨
المدح	٢٨
الهجاء	٢٩
الرثاء	٢٩
الفخر والحماسة	٢٩
الغزل	٣٠
الوصف	٣٠
الاعتذار	٣١
الحكمة	٣١
خصائص الشعر الجاهلي	٣٣
(أ) خصائص المعاني	٣٣
(ب) خصائص الألفاظ	٣٤
المعلقات	٣٥
نماذج من الشعر الجاهلي	٣٩
امرؤ القيس (حياته وشعره)	٤٢
النابغة الذبياني (حياته وشعره)	٤٩
زهير بن أبي سلمى (حياته وشعره)	٥٨
النثر الجاهلي	٦٥
الخطابة	٦٥
نماذج من الخطابة	٦٧
الأمثال	٦٩

الموضـــــــــوع	الصفحة

الفصل الدراسي الثاني ٧٣
توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني ٧٥
الأدب في عصر صدر الإسلام ٧٧
أثر الإسلام في اللغة والأدب ٧٧
أثر القرآن في اللغة والأدب ٧٨
أثر الحديث في اللغة والأدب ٧٩
الشعر في عصر صدر الإسلام ٨٠
موقف الإسلام من الشعر ٨٠
أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام ٨١
المدح ٨١
الهجاء ٨٢
الحماسة ٨٢
الرثاء ٨٣
شعر الدعوة والفتوح الإسلامية ٨٥
خصائص الشعر في صدر الإسلام ٨٨
(أ) خصائص المعاني ٨٨
(ب) خصائص الأسلوب ٨٩
نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام ٩١
حسان بن ثابت (حياته وشعره) ٩٧
شعره في الجاهلية ٩٨
شعره في الإسلام ١٠٠
كعب بن زهير (حياته وشعره) ١٠٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
النثر في عصر صدر الإسلام:	١١٣
الخطابة	١١٣
نماذج من الخطابة	١١٤
الرسائل	١١٧
نماذج من الرسائل	١١٧
الأدب في العصر الأموي	١٢٢
الشعر	١٢٢
أغراضه	١٢٢
الشعر السياسي	١٢٢
المدح	١٢٤
الهجاء	١٢٥
النقائض	١٢٥
شعر الفتوح والدعوة الإسلامية	١٢٨
خصائص الشعر في العصر الأموي	١٣٠
نماذج من الشعر الأموي	١٣١
جرير (حياته وشعره)	١٣٦
الفرزدق (حياته وشعره)	١٤٣
النثر في العصر الأموي	١٤٩
الخطابة	١٤٩
الرسائل	١٥١
نماذج من النثر الأموي	١٥٣
دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب	١٥٥
المحتوى	١٥٩